نحو منهج إسلامي
في البلاغة والنقد
الأسلوبية والنص النبوي الشريف

دكتور
عبدالعزيز فتح الله على عبدالبارى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

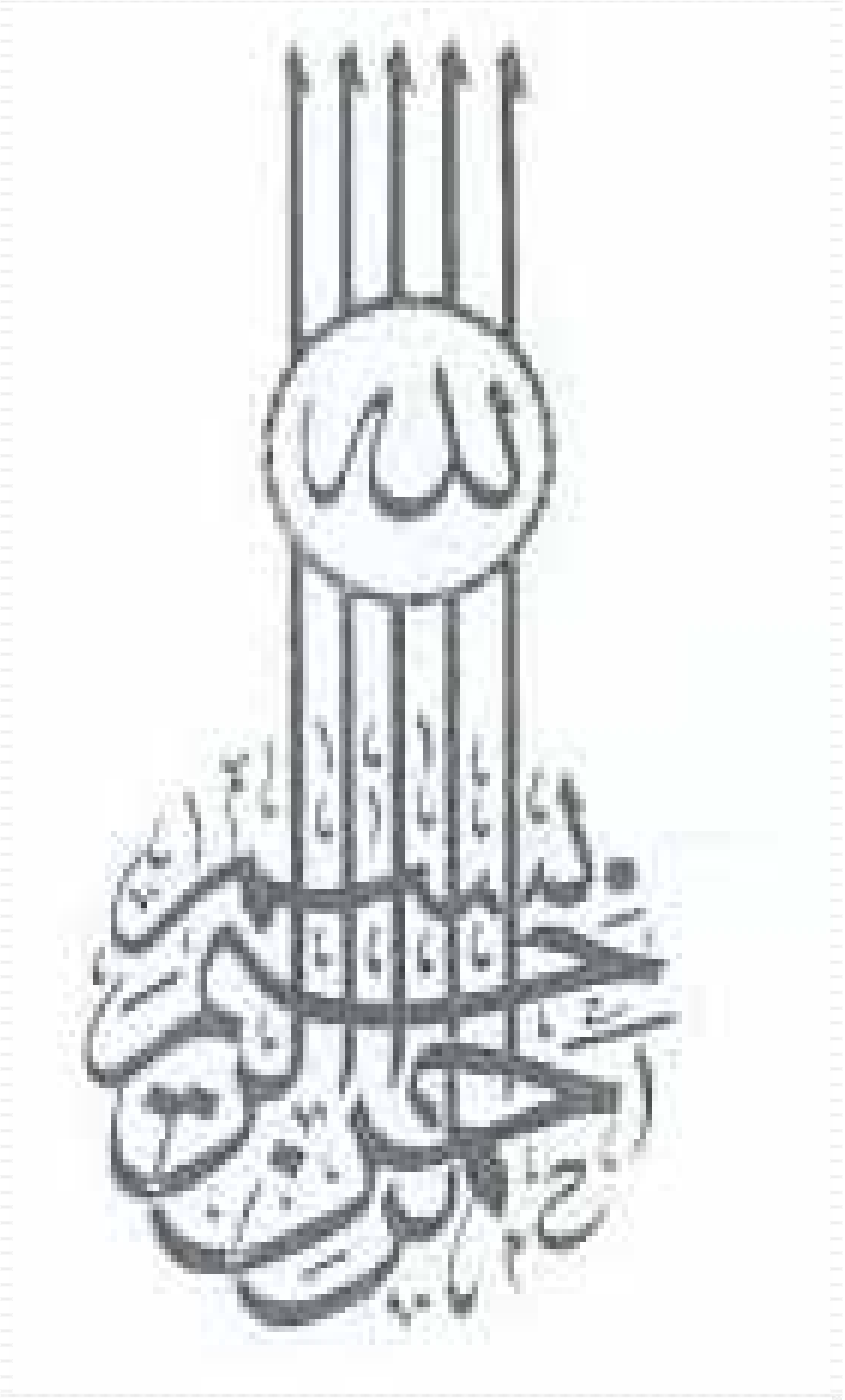

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نحو منهج إسلامي في البلاغة والنقد
(١)

الأسلوبية والنص النبوي الشريف
مدخل للدراسة

دكتور
عبد العزيز فتح الله علي عبد الباري
كلية المعلمين / جامعة عمر المختار
عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

رجب/ ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م

مفهوم الأسلوب:

ثمة تعريف يكاد يكون متفقاً عليه بين المهتمين بأمر الدراسة الأسلوبية. ذلك هو النظر إلى الأسلوب " بوصفه **" طريقة التعبير عن الفكر بواسطة اللغة "** [١].

---

(١)بيير جيرو-الأسلوب والأسلوبية-ترجمة منذر عياشي – مركز الإنماء القومي – بيروت – د. ت.ص٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعلى الرغم من أن هذا التعريف يضرب بجذوره إلى كتاب " الخطابة " لأرسطو؛ حيث يَرِد الأسلوب عنده بمعنى التعبير ووسائل الصياغة(٢)، وإلى كتاب " دلائل الإعجاز " لعبد القاهر الجرجاني؛ حيث يعرّفه صراحة، بقوله: " والأسلوب: **الضّرْب من النظم والطريقة فيه**" (٣)-فإن بيير جيرو يصفه بأنه -رغم بساطته الشديدة - مقبول عالمياً، كتعريف للأسلوب.

لعل مصدر القبول أنه ينطلق من المعنى اللغوي لكلمة " أسلوب"؛ فالأسلوب لغةً هو" الطريق والوجه والمذهب ... والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضم، الفنّ" (٤)،"وسلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة " (٥).

هذا المعنى: " طريقة التعبير" أو " طريقة الأداء "معنى عام اهتمت به البلاغة القديمة؛ حيث يمكننا أن نلحظ فيه **ناحيتين**: **الأولى**: النظر للأسلوب من زاوية

---

(٢)د.محمدغنيمى هلال–النقد الأدبي الحديث–دارالعودة–بيروت–١٩٨٧م–ص١١٦.

(٣) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز – قرأه و علق عليه /محمود محمد شاكر – طبعة خاصة من مكتبة الخانجي لمكتبة الأسرة ، بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٠ م – ص ٤٦٨ – ٤٦٩ .

(٤)أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي – لسان العرب – دار صادر – بيروت ط ١ – ٢٠٠٠ م – جـ ٧ ، ص ٢٢٥.

(٥)الزمخشري – أساس البلاغة –دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت –١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م – ص ٣٠٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكاتب، فيعني خصائصه الفردية المتميزة، و**الثانية**: أنه يعني النظام والقواعد العامة لجنس أدبي أو طبقة اجتماعية ما [٦] وهو لهذا المعنى العام، لا يشمل الأدب فحسب، بل العلوم والفنون جميعها؛ " لأن الفنون الأخرى [كالرسم والنحت والموسيقى] لها طرق في التعبير يعرفها الفنّيون، ويتخذون وسائلها، أو عناصرها من الألحان ومصطلحاتهم ومناهجهم في البحث " [٧]، وكذلك العلماء لهم رموزهم.

وقد كان هذا دافعاً إلى محاولة إيجاد تعريف محدد دقيق للأسلوب من جانب الأسلوبيين، فأدلى كلٌّ بدلوه، باحثاً عن هذا التعريف الذي يمكن أن يرتضيه دارسو الأسلوب، فمنذ بدأت الإشارة الأولى إلى موضوع علم الأسلوب على يد شارل بالي سنة ١٩٠٩م، حين ذهب إلى " أن اللغة تعبير عن الفكرة والعواطف والمشاعر الكامنة في آن واحد لينصب موضوع علم الأسلوب لديه

---

(٦)د. أحمد درويش – الأسلوب والأسلوبية : مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه – مجلة فصول القاهرية – العدد (١) – ١٩٨٤م – ص ٦٠ .

(٧) أحمد الشايب –الأسلوب : دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية – مكتبة النهضة المصرية ط ٨ – ١٤١١هـ / ١٩٩١م – ص ٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على " كيفية التعبير عن هذه الوجدانات بشكل أساسي "[٨].

هل إيجاد تعريف دقيق محدد للأسلوب أمر صعب ؟

حتى اليوم لم نقرأ، أو نعلم أن ثمة تعريفاً دقيقاً عُرّف به الأسلوب وارتضاه الأسلوبيون جميعاً؛ فهل إيجاد تعريف دقيق محدد للأسلوب أمر صعب ؟ إن إشارة لـ " هاتزفليد " في دراسة له، ذكر فيها أن عدد المؤلفات التي أُلفت عن الأسلوب والأسلوبية في النصف الأول من القرن العشرين تبلغ ألفي مؤلَّف، تجمع عناوين شديدة الاختلاف شديدة التعدد تجيب عن هذا التساؤل[٩]، وقد أدى هذا إلى اعتراف كثير من الأسلوبيين بأن أهم الإشكالات المعرفية التي أثارتها الظاهرة الأسلوبية، ولم تقدم لها جواباً حاسماً: إشكالية تعريف الأسلوب [١٠]؛ **حيث إن تعريف الأسلوب وهو موضوع الأسلوبية لم**

---

(٨)د. عزت محمد جاد – نظرية المصطلح النقدي – الهيئة المصرية العامة للكتاب– ٢٠٠٢م– ص ٢٥٧ .وينبغي أن نشير إلى أن"بالي" ليس أول من أشار إلى الأسلوبية كمصطلح؛ فبيير جيرو يحدثنا أن أول من استخدم هذا المصطلح هو "نوفاليس " قبل سنة ١٨٣٧م. إن كانت الأسلوبية لديه تختلط مع البلاغة. انظر: الأسلوب و الأسلوبية – لجيرو. ص٥.

(٩)جيرو-الأسلوب والأسلوبية – ص ٧.

(١٠)د. سعد مصلوح – في النص الأدبي: دراسة أسلوبية إحصائية – عين للدراسات والبحوث– القاهرة – ط ١ – ١٤١٤هـ /١٩٩٣م ص ١٣، ١٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكن موضع اتفاق بين رواد الأسلوبية، فالقواميس الأوروبية-كما يذكر جيرو-تقترح ما لا يقل عن عشرين تعريفاً للأسلوب[١١].

وهذا يعني أن مفهوم الأسلوب مفهوم غير محدد، بل هو " مفهوم عائم؛ فهو وجه بسيط للملفوظ تارة، وهو فن واعٍ من فنون الكاتب تارةً أخرى، وهو تعبير يصدر عن طبيعة الإنسان تارةً ثالثة؛ ولذا فهو يتعدى دائماً الحدود التي يدعى أنه انغلق عليها"[١٢]، مما دفع جيرو إلى القول: إن "مضمون كلمة أسلوب واسع جداً، وهو عندما يخضع للتحليل يتناثر غباراً من المفاهيم المستقلة"[١٣].

وعلى الرغم من هذا الاتساع الذي تتصف به كلمة " أسلوب " فإنه إذا أُطلق لفظ "الأسلوب" فُهِمَ "رغم انتشار استعماله، وتعدد تعاريفه، إلا أنه لا يتوخى الدقة، ولكن هذه الصعوبة في دقة التعريف لا تدفعنا إلى هجر هذا المفهوم "[١٤]؛ فقد بُذِلت محاولات لحصر أهم مفاهيم كلمة الأسلوب؛ فأرجعها" جيرو"، في الوقت الحالي إلى

---

(١١) جيرو – الأسلوب والأسلوبية – ص ٦.
(١٢)المصدر السابق – ص ٣٠ .
(١٣)المصدر السابق – ص ٥.
(١٤)د.رجاء عيد– البحث الأسلوبي: تراث ومعاصرة –نشر منشأة المعارف بالإسكندرية–ط ١- ١٩٩٣م–ص ٣٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثلاثة "معانٍ: يرى بعضهم أنها مازالت تعبر عن فن الكاتب، وعن استخدام اللغة لغايات أدبية، ويرى بعضهم الآخر أنها طبيعة الرجل نفسها" (١٥).

وقريب من محاولة جيرو هذه محاولة: ميدلتون ميوري"؛ حيث قدّم ثلاثة معانٍ للأسلوب هو الآخر، قال: إنه لاحظها من خلال استعمالات لغوية مختلفة.أجملها د.شفيع السيد في: "الأسلوب: بمعنى خصوصيات شخصية، والأسلوب بمعنى تكنيك العرض والبيان، والأسلوب الذي هو أعلى إنجاز في الأدب"(١٦).

ويبدو لي أن هذه المعاني الثلاثة لكلمة أسلوب تصب جميعاً في اعتبار الأسلوب طريقة خاصة في التعبير والإبداع: فإذا كان من المقرر أن لكل أديب طريقته الخاصة في التعبير، فمن الطبيعي أن تكون لتلك الطبيعة سمات خاصة، مردها إلى خصوصية شخصية كل مبدع أو منشئ، وإذا كان ذلك كذلك فلا بد أن المنشئ أو المبدع قد أدرك تقنية نسج على أصولها أسلوبه. وإذا برع أو نبغ في هذه الطريقة فقد يصبح أسلوبه مثالاً أعلى في الأدب.

---

(١٥)جيرو - الأسلوب والأسلوبية – ص ٧٣.

(١٦)د. شفيع السيد: الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي – دار الفكر العربي – القاهرة – د.ت – ص ١٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وذلك كله راجع إلى اختلاف زاوية النظر التي ينظر من خلالها كل من أراد أن يُعرف الأسلوب، فبحسب زاوية النظر أو التركيز إلى إحدى ركائز عملية الاتصال الأدبي، ونعني بها المنشئ أو المخاطب، والمتلقي أو المخاطَب، والرسالة أو النص، بحسب ذلك سيأتي تعريف كُلٍّ.

ولعل عدم الدقة، والاتساع والعمومية التي اتصف بها مصطلح الأسلوب، قد انعكس أثره على " الأسلوبية " بوصفها علماً، حيث رفض البعض أن تكون الأسلوبية علماً بالمعنى الدقيق لكلمة " علم"، وقصارى ما تطمح إليه حينئذٍ أن تكون " تحليلاً لغوياً موضوعه الأسلوب، وشرطه الموضوعية، وركيزته الألسنية. بيد أن التحليل -هكذا يبرر كونراد بيرو رفضه- وما ينتج عنه من معرفة لا يكفي لتحديد أي علم من العلوم. والموضوعية شرط لازم، ولكنه غير كافٍ للكلام على العلم. ولا تصبح الأسلوبية علماً؛ لاقتباسها من علوم أخرى كالألسنية والإحصاء: فالتحليل الألسني لا يندمج في التحليل الأسلوبي، وما يهم الإحصاء لا يهم الأسلوبية بالضرورة، والعكس صحيح أيضاً " [١٧].

---

(١٧)د. جوزيف ميشال شريم – دليل الدراسات الأسلوبية – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت – ط ١ – ١٤٠٤هـ م / ١٩٨٤ م – ص ٣٧ – ٣٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهو ما يوافق عليه، بل يؤكده د. عبد القادر المهيري في مستهل تقديمه كتاب د.عبد السلام المسدي " الأسلوبية والأسلوب" مبيناً صعوبة، بل استحالة أن تصل الأسلوبية إلى صفة " العلم "؛ لأن العلم يتصف باليقين والثبات، أما الأسلوبية فإنه" من العسير تخليصها من سلطان " النسبية " فالمعطيات التي تُتَنَاوَلُ بالدرس في هذا المجال رهينة ظروف الكتابة، وبنية الأثر الأدبي، وأهداف الكاتب، وزيادة على كل هذا وذاك، فهي رهينة نظرة الباحث وحساسيته " [١٨].

وبالرغم من أن الأسلوبية تُعرف بأنها " **البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب**" [١٩]؛ فإن الطريق إلى هذه الموضوعية المنشودة - عند الأسلوبيين - ممثلة في الاعتداد بالمظهر اللغوي في دراسة النص، تمر عبر الذاتية بل يعتبرها بعض الباحثين أساس الموضوعية في دراسة العمل الأدبي؛ " فمن العبث محاولة تجريد الناقد- وهو ينظر إلى العمل الأدبي فيقومه- من ذوقه الخاص، وميوله النفسية واستجاباته الذاتية لهذا العمل ... ولكن من المستطاع أن يتخذ الناقد هذه الذاتية أساساً لحكم "موضوعي".

---

(١٨)د.عبد السلام المسدي– الأسلوبية والأسلوب–دار سعاد الصباح الكويت–ط٤–١٩٩٣م–ص١٠.

(١٩)المصدر السابق – ص ٣٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وذلك بأن يلاحظ طبيعة العمل الأدبي الذي ينظر فيه، وأدواته الميسرة له، وطرائق تناوله والسير فيه، وقيمه الشعورية وقيمه التعبيرية بوجه عام، فينبهه كل هذا إلى محاولة الخروج من تأثره الشعوري المبهم إلى ضرورة إشراك الآخرين معه في الأسباب والمقدمات التي تدعوه إلى إصدار حكم ما. وبذلك يخرج-بقدر ما تسمح طبيعة الموقف-من الذاتية الضيقة المعتمدة على الشعور المبهم إلى الموضوعية العامة المعتمدة على عناصر وقواعد كامنة في العمل الأدبي ذاته"[٢٠].

هذا الرأي -وإن كان صاحبه ليس ناقداً أسلوبياً- فإن الأسلوبيين يقرون به، حيث تتخذ الذاتية مصطلحاً آخر هو الحَدس، لدى أبرز رواد الأسلوبية. ذلك هو " ليو سبيتر" حيث يقول فيما ينقله عنه جيرو: " **إننا ندخل العمل الأدبي حدساً**- ولكن الملاحظات والاستنتاجات تتحقق من صحة هذا الحدس - وندخله أيضا ذهاباً وإياباً من مركز العمل إلى محيطه. ويشكل هذا الحدس فعلاً إيمانياً فالحدس نتيجة من نتائج الموهبة والتجربة

---

(٢٠)سيد قطب–النقد الأدبي:أصوله ومناهجه،دار الشروق.وسيد قطب يعني"بطريقة تناول الموضوع والسير فيه:الأسلوب فهو يذكر هذه العبارة مفسراً إياها بالأسلوب في أكثر من موطن من كتابه هذا، انظر ؛ مثلاً، ص ٢٤، وص ٣٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والإيمان. إنه نوع من "الفرقان " الذهني، ويعمل على إخطارنا بأننا نسير فوق الطريق الجيد" (٢١).

وهذا إقرار من رائد من رواد الأسلوبية بأن"ذات الناقد تتدخل بشكل أساسي في الكشف عن كوامن العمل الأدبي؛ فإن الباحث يبدأ في دراسته من ملاحظة حَدْسية بأن جزئية بعينها سوف تقوده إلى الكشف عن الأدلة الأساسية للعمل الأدبي كله " (٢٢)، بل يذهب البعض إلى حد اعتبار أن"الذوق" و"الحدس" يبقيان حكمين وحيدين على مستوى فهم النصوص وتقديرها (٢٣).

يمكننا إذن بعد ذلك أن نقدم إجابة عن سؤالنا المطروح ضمنا فيما سبق، وهو: **هل يمكن أن تعد**

---

(٢١)جيرو – الأسلوب والأسلوبية – ص ٥٢.

(٢٢)د.محمد أحمد بريري- الأسلوبية والتقاليد الشعرية:دراسة في شعر الهذليين"– عين للدراسات والبحوث الإنسانية– القاهرة – ط ١ ، ١٩٩٥ م – ص ١٧.

(٢٣)جيرو: الأسلوب والأسلوبية -ص ٩٤. ويؤكد د. سعد أبو الرضا عدم قدرة الأسلوبية على الاستغناء عن الذوق، رغم ارتكازها على الموضوعية؛" فإن هناك جانباً ذوقياً مهما في التعامل مع النصوص قد لا يخضع لهذه الحدود المنضبطة، والوظائف المقننة،وهو جانب أولته بعض مباحث البلاغة العربية اهتماماتها، كما في الاستعارة والحذف وغيرها، ولا تصل الأسلوبية إلى هذا الجانب إلا باعتمادها على المقولات الداخلية الفردية في التعبير". د. سعد أبو الرضا– في البينة والدلالة:رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية-منشأة المعارف بالإسكندرية.د.ت– ص٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأسلوبية علماً ؟ فنقول: " إن دراسة الأسلوبية بمعنى دراسة الأسلوب ... تبدو أكثر تواضعاً، إنها يمكن أن تكون دراسة منهجية للتعبير الأدبي، لكنها لا ترقى إلى أن تكون دراسة علمية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة" (٢٤).

وإذا كنا - قد انتهينا إلى أن الأسلوبية ليست علماً بالمعنى الدقيق، وإن قامت على الموضوعية فهي لا تجافي الذاتية - فينبغي أن نشير باختصار إلى أهم اتجاهاتها. حيث يمكننا أن نحصر أهمها في اتجاهين: الأول يعرف: بعلم أسلوب التعبير، وهو يقوم على دراسة العلاقة بين اللغة والفكر، والثاني: يعرف بعلم الأسلوب الفردي. وهو يبحث في كيفية تشكيل النص واللذة الجمالية التي يثيرها في نفس المتلقي (٢٥)، والاتجاه الأخير هو الأكثر ذيوعاً وتطبيقاً؛ إذ "تعد دراسة الأسلوب الشخصي لكاتب معين أو شاعر بذاته أكثر الدراسات الأسلوبية شيوعاً بين الدارسين"(٢٦).

وتعتمد هذه الدراسة في المقام الأول، على البناء اللغوي للنص؛ فثمة مقولة خلاصتها أن خلاصة تجربة

---

(٢٤)د.شفيع السيد - الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي -ص ١٦١ – ١٦٢.

(٢٥)د.عزت محمد جاد -نظرية المصطلح النقدي - ص ٢٥٩.

(٢٦) د.شفيع السيد - الاتجاه الأسلوبي - ص ١٥٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنشئ أو المبدع الشعورية والروحية تكمن في إبداعه اللغوي، وعلى ذا فلا يمكن أن تفهم أو تدرس إلا بفحص لغة النص فحصاً دقيقاً[٢٧].

هل تصلح الأسلوبية منهجا للتطبيق على كافة النصوص الأدبية؟

ثمة تساؤل هام ينبغي أن يثار هنا: وهو هل يمكن للأسلوبية أن تغطي حقل الدراسة الأدبية كله ؟ بمعنى آخر: هل تصلح الأسلوبية منهجاً للتطبيق على كافة النصوص الأدبية، رغم انحيازها الكامل للموضوعية واعتمادها المطلق - عند كثيرين من أنصارها - على المدخل اللغوي كمدخل رئيس ووحيد في فهم العمل الأدبي ؟ وبتحديد أكثر هل تصلح الأسلوبية للتطبيق على " النص القرآني " و" النص النبوي الشريف " ؟!

إذا كان من المنطقي في التفكير أن نعرض المقدمات المؤدية إلى النتائج فإننا هنا على عكس هذا، نبادر إلى التصريح بالنتيجة، فإن الباحث يرى عدم ملاءمة الأسلوبية للتطبيق على القرآن الكريم والحديث الشريف، بمنهجها المعروف المستبعد تماماً كل التأثيرات الخارجية على النص مما يتصل بالمؤلف والسياق التاريخي، وغير ذلك مما ليس من داخل النص،

---

(٢٧)انظر: المصدر السابق - ص ١٥٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل من خارجه. أرجو أن لا يسارع القارئ الكريم باتهامنا بالتعصب، بل تمهلْ؛ فما ننكره إنما هو التطبيق الحرفي دون دراسة واعية لما يتناسب من هذا المنهج، وما لا يتناسب.

إن هناك من قد أعلن صراحة عدم إمكانية أن تغطي الأسلوبية حقل الدراسة الأدبية بكامله بمعنى أن تصبح منهجاً واجب الاتباع على كل دراسة تهتم بالأدب. إن الأسلوبية مهما امتدت واتسع مجالها - يقول د.شفيع السيد - " لايمكن أن تغطي حقل الدراسة الأدبية بكامله، فكثير مما يهتم به دارسو الأدب يتألف من وحدات أكبر مما يمكن أن تعالجه الدراسة الأسلوبية، مثل الحبكة الشخصية، وتنسيق الأفكار، وغيرها " [٢٨].

أقول: إذا جاز هذا التمهل في معرفة هل تتناسب الأسلوبية مع بعض جوانب الإبداع البشري أو الكلام البشري أفلا يحق لنا أن نتوقف نفس الوقفة مع " كلام الله " بكل ما تعنيه هذه الإضافة، أو مع كلام رسول الله ﷺ ، وأيضاً بكل ما تعنيه الإضافة ؟!

إنني أرى أننا لا يمكننا أن نطبق المنهج الأسلوبي المشار إليه آنفا على النص القرآني أو الحديث النبوي

---

(٢٨)المصدر السابق- ص ١٦٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشريف دون تدخل للأخذ بما يناسب والرفض لما لا يتناسب، مستنداً في ذلك إلى اعتراف بعض رواد الأسلوبية بعدم إمكانية أن تطمح الأسلوبية في أن تكون نظرية شاملة لكل ما ينضوي تحت مصطلح الظاهرة الأدبية (٢٩).

قد تبدو هذه مصادرة فكرية ! ولإبراز مقدمات تلك الرؤية أو تلك النتيجة فإننا نطرح ابتداءً سؤالاً نراه مهما: **هل يمكن ابتداء تطبيق منهج هو نتاج فكر وعقيدة ومزاج ثقافي يختلف تماما عن فكرنا وثقافتنا دون فحص وتمحيص ؟!** قد يبدو التساؤل منطقيا، وقد يعترض عليه بعض، ولكن ينبغي ألا يغيب عن بال المعترضين جوهرية التساؤل.

إن المنهج الأسلوبي في دراسة الأدب منهج - كغيره من المناهج والمدارس النقدية الغربية - نبت في تربة ثقافية لها خصوصياتها ومزاجها الفكري والخلقي والعقائدي. إنه مذهب نقدي نابع من استقراء مجموعة من النماذج الأدبية البشرية الراقية، ولذا هو يقارب " النص " على أساس، أنه في أغلب الأحيان-انعكاس لشخصية قائله؛ فالأسلوب صورة لفظية تعكس السمات

---

(٢٩)د. عبدالسلام المسدي - الأسلوبية والأسلوب -ص ١١٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النفسية والشخصية لكاتبه أو مؤلفه؛ فالأسلوب هو الرجل أو الإنسان -كما قال بوفون - [٣٠].

ومعنى هذا أن " لكل عمل أدبي قبل أن يتخلق في صورته اللفظية صورة مثالية في نفس الشاعر [أو الكاتب أو الأديب] وذهنه. ويتفق العلماء من قديم الزمن على أن الباعث على هذه الصورة انفعال ما نتيجة وحي، وقوة خفية قالوا عنها: إنها شيطان، وإنها عروس الشعر " [٣١].

ولا ضير أن يتناول الدارس الأسلوبي النص الأدبي الذي أبدعه بشر، ولو كان عبقرياً من هذا المنطلق. أما أن نحاول أن نتعامل، من هذا المنطلق، مع النص القرآني " الإلهي" المقدس، أو النص النبوي الشريف الصحيح، فإننا ابتداء نكون قد أنزلنا النص المقدس من مرتبة" كلام رب الناس" المتصف بالكمال المطلق في كل شيء، الذي لا يشبهه شيء (**ليس كمثله**

---

(٣٠)انظر: برند شبلنر – علم اللغة والدراسات الأدبية: دارسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي – ترجمة وتعليق د. محمد جاد الرب – نشرة الدار الفنية للنشر والتوزيع – الرياض – ط١ – ١٩٨٦م – ص ٢٦. وقول بوفون هذا، له خلفيته الثقافية في التراث اليوناني القديم ، فقد قال أفلاطون " الأسلوب شبيه بالسمة الشخصية ". انظر: جيرو. الأسلوب والأسلوبية – ص ٢٢، ٢٣.

(٣١)د. محمد زغلول سلام. تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع عشر الهجري. منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٢م ص ٥٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شيء وهو السميع البصير) [الشورى /١١] إلى مرتبة كلام الذين الناس يعتورهم النقص، وتتحكم فيهم الأهواء؛ فيعتري هذا اضطراب عاطفي أو نفسي لحظة ما أو يعاني آخر من أمراض نفسية يمكن أن تظهر عند تحليلنا لأسلوبه [٣٢]؛ فالشاعر أو الفنان ينظر إليه – كما يصف ديدرو - على أنه "شخصية روائية وعصبي المزاج، فهو قبل أن يأخذ بالقلم يضطرب عشرات المرات في حفرة موضوعه، ويفقد النوم ليقوم في منتصف الليل فيهرول في قميص نومه بقدمين عاريتين ليدون كلامه في ضوء مصباح[٣٣].

هذه هي التربية الفكرية والثقافية التي نشأ فيها الاتجاه الأسلوبي - وهي خلفية ثقافية إن انطلقنا منها في تناولنا الأسلوبي للنص القرآني أو الحديث الشريف أدت بنا إلى الوقوع في التشبيه، بالنسبة لذات الله، وأدت إلى تناول الحديث الشريف

---

(٣٢)على نحو ما فعل " فرويد " في تحليله أسلوب ليوناردو دافنشي، في بحثه المعنون بـ " ليوناردو دافنشي: دراسة في السيكولوجية الجنسية ". حيث اعتبر أن إبداعه كان نتيجة إحساسه بالرغبات الجنسية المكبوتة، والتي كانت تظهر في إبداعه، نتيجة رغبته في التسامي عن هذه الرغبات المكبوتة ... نظر في ذلك د. علي عبد المعطي محمد الإبداع وتذوق الفنون الجميلة – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية –١٩٩٥م – ص ١١٥.

(٣٣)د. محمد زغلول سلام - تاريخ النقد الأدبي والبلاغة - ص ٥١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على أنه " كلام بشر " وليس كلام بشر " رسول "[٣٤]. هذا في حد ذاته، ليس عيباً في المنهج الأسلوبي؛ إذ إن أصحابه لم يحاولوا - فيما نعلم - أو لم يدعوا وجوب تطبيقه على النص القرآني أو النص النبوي الشريف.

تلك خلفية ثقافية ومعرفية لهذا المنهج الذي لا تهتم تربته الأصلية ولا تأبه لهذا الذي نقول؛ لأن خلفيته هذه لا تعترف - الآن بالقداسة للدين، أي دين، حتى الدين الذي ينتمون إليه، برغم ما أصابه من تحريف لديهم ! والقداسة الآن لديهم، للعقل والعلم وحدهما.تلك خلفية ربما لا يتفق بعض الباحثين معنا فيها، لكنها تنطوي على تحذير ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار.

وإذا كان هذا يعني أن الباحث يحذر من خطورة نقل وتطبيق المنهج الأسلوبي على النص القرآني المقدس أو نص الحديث الشريف فإن التحذير نفسه، قد انطلق من قبل على الشعر العربي نفسه. ينقل الدكتور عبد العزيز حمودة في كتابه " المرايا المقعرة " عن محمد مفتاح، **تحذيره** - عبر مجلة فصول المصرية، في مقال له بعنوان " مدخل إلى قراءة النص الشعري" من " خطورة النقل [أي نقل المناهج أو النظريات النقدية

---

(٣٤)د. محمد زغلول سلام- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة - ص ٥١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغربيــة] دون إدراك الاخــتلاف [أي الاخــتلاف بــين الثقافتين الغربية والعربية] فهو يذكّر الناقد العربي أن للشعر العربي خصوصيته، وأنه ليس عبثياً أو عدمياً، أو ترفاً فكرياً، ثم يحذره من خطورة تناسي خصوصيته الثقافية " فالشعر العربي المعاصر بصفة عامة [كما يقول مفتاح:] ليس عبثياً، وليس عدمياً، وليس شعره مجرد إشباع ثقافي، وعلمي، وترف سياسي. وعليه فإن نقل أي منهجية جاهزة لتحليل الشعر العربي المعاصر بها قد تسلب هذا الشعر رسالته، وخصوصيته في مجتمعات ذات خصوصية"(٣٥).

فإذا كنا حريصين على أن يتناسب المنهج النقدي الذي سندرس به الشعر العربي المعاصر معه، وأن يراعى خصوصيته؛ أفلا يكون مشروعاً لنا أن نكون أشد حرصاً إذ نتناول نصوصنا الدينية المقدسة وهي أخص خصوصياتنا التي يحاول دعاة الحرية المزعومة أن يسلبونا قدسيتها وخصوصيتها لتصبح نصاً كأي نص إبداعي ينتجه البشر ؟!.

---

(٣٥)د. عبد العزيز حمودة -المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية - سلسلة عالم المعرفة – الكويت – العدد (٢٧٢) – ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م – ص ٦٩، ٧٠. انظر كذلك في عدم جدوى الإسراف في نقل المفاهيم الغربية: د. سعد أبو الرضا – في البينة والدلالة – ص ٢١،٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أفلا يجوز لنا أن نقول - وبعملية إحلال بسيطة لكلام مفتاح السابق - إن نقل أي منهجية جاهزة (الأسلوبية) لتناول أو مقاربة [كما يحب الأسلوبيون] النص القرآني أو النص النبوي الشريف الصحيح، ولا أقول قد، بل ستسلب هذه النصوص المقدسة خصوصيتها وقدسيتها، إن لم يستبعد منها كل ما قد يؤدي إلى سلب هذه القدسية وتلك الخصوصية.

وإذا كان جوهر الأسلوبية يقوم على أن فهم العمل الأدبي لا يمكن أن يتأتى إلا من خلال لغته؛ فمن القواعد الأسلوبية المقررة " أن التحليل الأسلوبي يجب أن يبدأ بالاستسلام للعمل [أي العمل الأدبي] كما هو في ذاته "[٣٦].

الأسلوبية إذن لا تركز إلا على العمل الأدبي من خلال لغته، فهي لا تلتفت إلى ملابسات النص الخارجية. والتركيز على العمل الأدبي عند الأسلوبيين معناه الاعتداد بالنص ذاته فحسب. وهم ينطلقون من هذا المنحى من مقولة دوسوسير " يجب أن يكون الانطلاق من اللغة ذاتها " [٣٧] فاللغة إذن عند دوسوسير هي

---

(٣٦)د. شفيع السيد – الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي. ص ١٥٨،١٥٩.

(٣٧)د. عدنان حسين قاسم –الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي – الدار العربية للنشر والتوزيع – القاهرة – ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م – ص ٢٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ميدان دراسته. اللغة وحدها دون أي مؤثر خارجي للعمل الأدبي، وبناء على هذا قام التفكير الأسلوبي؛ حيث يقصر نفسه - كما يقول المسدي - " على النص في حد ذاته بعزل كل ما يتجاوزه من مقاييس تاريخية أو نفسية "(٣٨).

والمسدي نفسه يستخلص هذا المبدأ الأسلوبي حين يحاول تدبر وجهة النظر الأسلوبية التي تحاول عقلنة ماهية الأسلوب. يقول: إن الأسلوبية " تنطلق من النص لتعود إليه، وقد تقرنه بباثه أو مستقبله، بل ربما نزلته منزلة المجهر العيني الكاشف لبعض خلايا الجهاز اللغوي عامة، وتبقى التقديرات التاريخية والسوسيولوجية وحتى الأيديولوجية في معزل عن مشاغلها "(٣٩).

وبدهي أن مفتاح النص الرئيس لدى الأسلوبيين حينئذٍ ليس إلا لغته التي تشكل منها. بل هم يغالون في ذلك إلى درجة اعتبار هذا السبيل (أي لغة النص) مدخلاً وحيداً لدراسة العمل الأدبي، بل يصرح بعضهم بأن هذا النوع من الاعتقاد لديهم يوازي الاعتقاد الديني

---

(٣٨)د.عبد السلام المسدي-الأسلوبية-ص ٣٥. وانظر أيضا: عبد الله الغذامى -الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية –الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط١٩٨٨،٤،ص٢٠.

(٣٩)المصدر السابق – ص ٩٣، ٩٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقدس. يقول جراهام هو: " **إن البدء في دراسة العمل الأدبي من المظهر اللغوي ليس مسألة منهجية فحسب، بل هو يُغلّف عند الأسلوبيين نوعاً من الاعتقاد المقدس في أن السبيل الوحيد للوصول إلى كنه العمل الأدبي وحقيقته، لا يتأتى عن غير هذا السبيل**" (٤٠).

هذا الاعتقاد المقدس عند الأسلوبيين لا يفتئون يؤكدون عليه، فهذا موكاروفسكي يقول - أيضاً - " سواء نظرنا إلى الأسلوب بوصفه تقليداً يعلو الفرد، أو نظرنا إليه بوصفه مظهراً فردياً، فإن الأمر في الحالتين يقصر البحث عن جماليات العمل الأدبي على البحث في لغة العمل (٤١) **فالدراسة الأسلوبية إذن " تنصب على النص مجرداً، وتنصرف إليه كلية** " (٤٢).

فإذا كان هذا هو جوهر الأسلوبية فهل يمكننا أن ندرس النص القرآني أو النص النبوي الكريم دراسة أسلوبية منطلقين من هذا المبدأ الأسلوبي؟وبعبارة أخرى هل يمكننا أن نفهم الآيات القرآنية أو ندرسها، دون الوقوف على معرفة المكي والمدني، وأسباب النزول،

---

(٤٠)د. محمد أحمد بريري – الأسلوبية والتقاليد الشعرية. ص ١٤.

(٤١)المصدر السابق- نفسه .

(٤٢)د. عزت محمد جاد -نظرية المصطلح النقدي - ص ٢٨٥ . وانظر كذلك: د.فتح الله سليمان – الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية – الدار الفينة للنشر و التوزيع .ص ٢٢ – ٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمحكم والمتشابه وأساسيات العقيدة الإسلامية الصحيحة، وهي كلها أمور أو ملابسات تقع خارج دائرة النص القرآني؟!.

إن المدخل اللغوي في فهم ودراسة " النص " مدخل هام وأساسي عند الأسلوبيين، سواء الغربيون منهم أو العرب، ونحن لا نماريهم في أهمية هذا المدخل لفهم العمل الأدبي، لكننا نختلف في نظرتنا أو في نقطة الانطلاق في الدراسة. إنه مدخل هام. نعم. **لكنه ليس المدخل الوحيد**، قد يكون كذلك، أو يجوز أن يكون كذلك، إذا طبقه الأسلوبيون على الشعر الغربي، أو حتى على الشعر العربي، على الرغم من تحفظ بعض النقاد كما أشرنا سابقاً، أو على فن من فنون النثر، **لكنه يستحيل أن يكون مدخلاً وحيداً لفهم النص القرآني المقدس المنزل على محمد ﷺ من ربه عن طريق أمين الوحي جبريل- عليه السلام - لفظاً ومعنى المنقول إلينا تواتراً، المتعبد بتلاوته. قال تعالى:(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) [الشعراء/١٩٣: ١٩٥]، وقال أيضاً:(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)[الواقعة / ٧٧ : ٧٩]، أو النص المنقول إلينا عن رسول الله ﷺ من قوله أو فعله**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو تقريره أو صفته [٤٣]، وثبت عند أهل الحديث صحته أو حسنه؛ فهو وحي أيضاً. قال تعالى: **(وَالنَّجْمِ إِذَا هوى ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غوى وما يَنطِقُ عَنِ الهوى إن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)** [النجم / ١: ٤].

أقول : لا يمكننا أن نطبق هذا المنهج الأسلوبي المعتمد اعتماداً كلياً على لغة النص كمدخل وحيد في فهم أو تناول أو مقاربة النص القرآني الكريم أو النص النبوي الشريف، فهذا المبدأ الأسلوبي الذي لا يختلف حوله أي من الدارسين الأسلوبيين " لا يقول شيئاً مهماً من الناحية العملية " [٤٤].

هذا تعليق الدكتور شكري عياد. ونحن نؤيده لصحة ما ذهب إليه؛ إذ علينا حينئذ أن نطّرح جانباً كل ما تجب معرفته والإلمام به مما قرره علماؤنا أنه واجب لفهم القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة فهما صحيحاً،كعلوم القرآن الكريم وعلوم الحديث الشريف.

---

(٤٣)انظر د. محمود الطحان- تيسير مصطلح الحديث – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، ط٩ – ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م – ص ١٥.

(٤٤)د. شكري عياد - مدخل إلى علم الأسلوب - دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض - ط ١ – ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م- ص ١٣٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما أنه تبعاً لهذا المنهج فإن علينا أن نتعامل مع " النص القرآني " على أنه " نَص مُبدع " كأي نص يبدعه البشر ! وكذا حديث رسول الله ﷺ أي نخلع عنهما قدسية " الوحي".وهم ابتداءً، أي الأسلوبيين الغربيين لا يقرون في حدود علمنا، للرسول ﷺ بأنه نبي يوحى إليه، وأقصى ما يبلغ عندهم أنه بشر عظيم (٤٥) استطاع أن يجمع العرب في دولة واحدة ! والنتيجة أن نتناول القرآن على أنه"كلام " لا أنه" كلام الله "، والحديث على أنه كلام بشر عادي لا أنه كلام نبي يوحى إليه.

باختصار، نتناولهما بالدراسة الأسلوبية على أنهما كلام " منشئ " أو " مبدع " بكل ما تحمله الكلمة من دلالة على التشبيه والتجسيد في حق الله - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً - وإنزال كلام محمد ﷺ من مرتبة كلام نبي إلى كلام إنسان عادي علينا أن نكتشف من دراسة نصوصه ظواهر أسلوبية قد تدلنا على شخصيته وسماته النفسية، عملا بمقولة بوفون السابقة الذكر، من اتزان، أو اضطراب، أو كبت، أو كذا وكذا ، مما نرفضه ابتداءً.

اعتراضان على المنهج الأسلوبي :

---

(٤٥)الإمام الأكبر د. عبد الحليم محمد – دلائل النبوة ومعجزات الرسول ﷺ كتاب الشعب – ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م – ص ١٤٢ وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هناك إذن اعتراضان على المنهج الأسلوبي إذا أردنا أن نتناول به النص القرآني الكريم أو النص النبوي الشريف:

أولهما : أن يكون المدخل اللغوي مدخلاً وحيداً في تناول النص الديني المقدس.

وثانيهما: أن نتناول هذين النصين على أنهما نصوص من إبداع بشري عبقري.

من المدهش حقاً أن أحد رواد الدراسة الأسلوبية العربية، وهو د. سعد مصلوح، قد أومأ إلى هذا الذي نعترض به على المنهج الأسلوبي في تناول القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف. يقول - في معرض تنظيره ما سماه بأسلوبيات " المقام "، وبعد عرضه تنظيراً لأسلوبيات المقال-(٤٦):"ومن جوامع الكلم التي تتردد في كتب السلف مقولتان: **أولهما**: " لكل مقام مقال "، و**الأخرى**: " البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال "، وقد اكتسبت هاتان المقولتان في القديم والحديث طابعاً تعليمياً. ولكنهما تقرران من الوجهة العملية مبدأ

(٤٦)يقصد د. سعد مصلوح بأسلوبيات المقال، أو متغيرات أسلوبية تميز النص. وقد أورد قائمة بأنواع هذه المتغيرات اللغوية التي تتحول بالاستعمال اللغوي في النص من متغيرات شكلية وصوتية، وصرفية، وتركيبية ودلالية، إلى متغيرات أسلوبية. د .سعد مصلوح– في النص الأدبي– ص ٢٨ ،وما بعدها ،وص ٣٥ ٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تُطبق على صحته جميع الاتجاهات والمدارس في العلوم اللسانية خاصة، والإنسانية عامة، **ألا وهو وجود علاقة لا يمكن تجاوزها - تنظيراً أو تحليلاً - بين المقال وما يكتنفه من ظروف ومواقف وسياق اجتماعي، ولأمر ما جعل المفسرون والأصوليون من المعرفة بأسباب النزول أصلاً من أصول تفسير القرآن الكريم واستنباط الأحكام لا يقومان إلا به، وما المعرفة بأسباب النزول إلا استحياء للمقام لا مندوحة عنه لفهم المقال "** (٤٧).

ويعترف في موضع آخر بأهمية السياق أو المقام وما يحيط به من ملابسات من فهم المقال. حيث " يرتبط المقام بالمقال على نحو يتحدد المقام بالمقال، ويستكشف فيه المقام من خلال المقال، ولعل حاجتنا إلى هذين الأمرين جد ملحة، لاسيما عند الدراسة الدلالية والأسلوبية للنصوص المدونة في تراثنا القديم " (٤٨).

ما يجب علي من يدرس النص الديني المقدس الصحيح دراسة أسلوبية:

بناء على ما قدمنا، فنرى أنه يجب علي من يدرس النص الديني المقدس الصحيح أمران خطيران، وهو بصدد تحديد مفهومه ومنهجه:

أولهما: عدم التعويل المطلق على لغة النص الديني وحدها كمدخل وحيد لفهمه.

---

(٤٧)المصدر السابق – ص ٣٧.

(٤٨)المصدر السابق – ص ٤٦. ٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانيهما: الانطلاق في تناول النص القرآني أو النص النبوي الشريف، على أن الأول " كلام الله "، وأن الثاني كلام نبي الله المؤيد بالوحي (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى) [النجم /٤] بكل ما تعنيه دلالة الإضافة في كل بما ينبغي في حق الله - تعالى - ورسوله ﷺ وما لا ينبغي حسب عقيدة التوحيد الصحيحة.

والباحث في اعتراضه هذا **يصدر عن قناعة مؤداها أن المنهج ينبغي أن يكون وليد الدراسة، وأن يتناسب مع طبيعة الأثر الفني المدروس، مستنداً في هذا إلى رأي علمين من أعلام الدراسة الأسلوبية في الغرب،** هما: " هوبر "، "وجيرالد أنطون"، مع ملاحظة أنهما لم يضعا في اعتبارهما أصلاً تناول النص المقدس بالدراسة.

فأما الرأي الأول: فقد نقله برند شبلنر في كتابه " علم اللغة والدراسات الأدبية ". يقول هوبر: "فمما لا شك فيه أنه لا يوجد في الدراسات الأدبية، المنهج الذي يصلح للتطبيق في كل الحالات؛ لأن كل عمل فني إنما هو عمل فني لا يتكرر، ومن ثم ينبغي وجود منهج، والأفضل القول: بوجود طريقة بحث مناسبة لكل حالة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الحالات. ويمكن استنتاج هذه الطريقة بالتخمين من خلال القراءة المتأنية للنص " (٤٩).

وأما الثاني، فهو رأي أنطون جيرالد، وهو رأي أدق من سابقه، ونعتبره المستند الأبرز في اعتراضنا؛ يقول - فيما نقله عنه د.جوزيف ميشال شريم - " إننا نحتاج إلى طريقة تحليل خاصة بكل أثر فني، وإنه يتوجب على " طريقة التحليل التي نطبقها على أي أسلوب أن تُبَدل في توجهاتها ووسائلها، وفقاً لمكانة هذا الأسلوب المذكور " (٥٠).

من ثم فإن البدائل المقترحة هي :

أولا: أن ننطلق في مقاربة " النص " المقدس من نسيجه اللغوي، ومن جميع الملابسات السياقية التي ترتبط بالنص القرآني أو النص النبوي الشريف، وتسهم في فهمه الفهم الصحيح. كعلوم القرآن الكريم، وعلوم الحديث، وسيرة صاحبه ﷺ، إضافة إلى السياق الاجتماعي والتاريخي للنص.

هذا ما يؤكد علماء اللغة أهميته في تحديد المعنى، بل بعض علماء الأسلوب أيضاً، مثل سبنسر

(٤٩)برندشبلنر – علم اللغة والدراسات الأدبية – ص ١٣٢، ١٣٣٠

(٥٠)د. جوزيف ميشال شريم – دليل الدارسات الأسلوبية – ص ٥٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجريجوري، حيث أكدا على أهمية السياق في فهم النص وتحديد المراد منه، وتتلخص نظريتهما في السياق في حقوله الثلاثة، عندهما، يعنيان بها: **الحقل** الذي يربط الخطاب أو الكلام بموضوعه، **وحالة الخطاب** ويقصدان بها ما ينبغي معرفته للتعرف على الفروق اللغوية الناتجة عن الفرق بين خطاب مكتوب وآخر منطوق. أما الثالث، فهو **فحوى الخطاب** ومدى تأثيره في علاقة المتكلم والكاتب بالمستمع والقارئ [٥١].

ولسنا في هذا أول المعارضين، بل من رواد الأسلوبية أنفسهم من يعارض فكرة التركيز التام على النص ولغته التي تتبناها الأسلوبية، وكذلك البنيوية الشكلية، التي ترى أن فهم دلالة أو معنى النص يكون من خلال نظمه هو أو بنائه اللغوي ذاته؛ فالبنيوية التوليدية - مثلا- ترى " أنه لا يمكن عزل النص؛ ومن ثم المؤلف، عن السياق الاجتماعي والتاريخي " [٥٢].

وقد كان هذا المنزع الأسلوبي المركز الاهتمام على النسيج اللغوي للعمل الفني والمبتعد عما هو " خارج " النص، كبعض الحقائق التي تتصل بحياة المؤلف وسيرته الذاتية وكل ما قد يكون ضرورياً في

---

(٥١)د.عبد العزيز حمودة – المرايا المقعرة – ص ١٤١.

(٥٢)د.محمد العبد– اللغة العربية والإبداع الأدبي– دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع–القاهرة–ط ١،١٩٨٩– ص ٣٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهم النص - **قد كان هذا من أهم الاعتراضات التي وجهت إلى الأسلوبية، بل عد من أهم عيوبها** [٥٣].

ذلك " أن كثيراً من الممارسات النقدية الأسلوبية تنزع إلى الخيلاء، وعدم الاكتراث بالعوامل التاريخية واللغوية الكامنة وراء بعض العبارات "[٥٤]؛ **فهل تستخدم " اللغة " في أي نص من النصوص بمعزل عن مستخدمها ومتلقيها وملابسات الاستخدام الأخرى المحيطة بالكلام ؟!** إن" علينا أن نفهم -بعمق- أن اللغة تعمل داخل إطار واسع من النشاط الإنساني" [٥٥]؛" فكل جزء من اللغة، إذن، هو جزء من موقف، كذلك النص له أيضاً علاقة بالموقف" [٥٦] والسياق، ولعلنا نستطيع أن نفهم من خلال السياق أكثر مما يمكن أن نفهمه من الوحدات اللغوية التي شكلت النص. " أي أن السياق قد يعطي المدلولات التي لا يمكن أن تُعزى بشكل مباشر بسيط إلى وحدة [لغوية] معينة أو وحدات مضمومة بطريقة آلية "[٥٧].

---

(٥٣)د. شفيع السيد – الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي -ص ٧٢.
(٥٤)المصدر السابق . ص ٨١.
(٥٥)د. رجاء عيد - البحث الأسلوبي - ص ٨٧.
(٥٦)المصدر السابق -ص ٨٧.
(٥٧)د.مصطفى ناصف–نظرية المعنى في النقد العربي–دار الأندلس- د.ت-ص١٦٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا نبعد في هذا كذلك كثيراً عما اقترحه أحد رواد الأسلوبية، وهو برند شبلنر، إذ اعتبر أن التحليل الأسلوبي يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية: هي:

١ - جزء لغوي: ويتعامل مع التعبيرات المنتظمة لغويا.

٢ - جزء عملي: ويسهل تناول أجناس: المؤلف، القارئ، والسياق التاريخي وموضوع الحديث.

٣ - جزء جمالي أدبي: ويرتبط بالتأثير على القارئ، بالشرح الأدبي والتقديم. وهي أجزاء يرتبط بعضها بالبعض الآخر [٥٨].

ثانياً: معرفة مكانة النص: ولا نعني ما عناه أستاذنا الدكتور رجاء عيد - رحمه الله - بمكانة النص التاريخية فحسب[٥٩]، بل أيضاً من حيث مكانةُ قائله وسيرته ومرجعيته، و" الضوابط " التي تحكم تناوله من جانب أي باحث.

ونحن في هذا أيضاً، نأخذ برأي أحد الأسلوبيين- وهو فرنن لي- حيث يرى أن الاكتشاف الحقيقي لأدب الأديب، إنما هو من خلال سيرته. بل إن تتبع سيرته الذاتية يسهم، بشكل كبير، وبطريقة أدق، في اكتشاف الكاتب أو الفنان، وهذا يتم "بالرغم من كل محاولة جاهدة لتحاشيه... إذ إن ما يعبر الكاتب عنه حقاً هو

(٥٨)برندشبلنر- علم اللغة والدراسات الأدبية - ص ٣١ .

(٥٩)د. رجاء عيد – البحث الأسلوبي – ص ٩٤ – ٩٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طبعه وشخصيته العميقة، وما يفضله وما ينفر منه، ومظهره ونمط حياته ونفوذه واتزانه وحيويته وفتوره ... و هذا ما يعبر عنه إن كان يقدم بياناً حقيقاً باهتماماته الخاصة أو كان يبتكر اهتمامات شخص آخر "[٦٠].

فإذا كان هذا في شأن النص الذي أبدعه بشر عادي؛ فهل لا يسوغ لنا أن نتوقف عند مقاربة" نص إلهي" أو" نص نبوي كريم " لنتناوله من خلال مكانة قائله كمفتاح من أحد مفاتيح النص المهمة؟

إن علينا عند تناول نص ما أن نتعرف على مكانة صاحبه: أهو بشر عادي، ولو كان عبقرياً، أم هو بشر أُوحِيَ إليه ؟ أم صاحب النص ليس بشراً، بل هو الإله الحق ! الواحد الأحد ؟ وما مدى مرجعية هذا النص ؟

فإذا كانت الإجابة أن النص إلهي ؟ فهل ما زال هذا النص كما أنزله الله بلا تحريف أو تبديل ؟ فإن ثبت أن يد التحريف والتبديل لم تتطرق إليه ألبتة؛ فإن علينا حينئذ أن نتعامل معه وفق "ضوابطه الشرعية "غير غافلين أو مُغْفِلين إياها. بإيجاز، نتعامل معه على أنه " كلام الله ".

---

(٦٠)د. جوزيف ميشال شريم - دليل الدراسات الأسلوبية - ص ٦١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما إذا كانت الإجابة: أنه نص بشري؛ فإن لنا أن نعرف أولاً: أهو بشر رسولاً ؟ فإذا كان بشراً رسولاً فما مدى صدق نسبته إلى ذلك الرسول ؟ فإذا ثبت أن النص للرسول ﷺ وفق ما أجمع علماء الأمة على صحته؛ فلتعرف لهذا النص مكانته، من حيث إنه من قبيل الوحي، فيتعامل مع كلامه ﷺ وفق الضوابط الشرعية التي ينبغي أن نعرفها لرسول الله ﷺ مثل معرفة ما ينبغي في حقه ﷺ من صفات وشمائل، وما لا ينبغي، إذ هو أكمل البشر، وأفضلهم.

ومن مثل تنزيه كلامه ﷺ عما يمكن أن يوصف به كلام أي مبدع من انطلاقه - مثلاً - عن دافع الكبت أو التنفيس أو انطلاقه عن غير الشعور، كما يرى أنصار المدرسة السيكولوجية في تفسير الإبداع، وعلى رأسهم فرويد الذي يرى - في خلاصة رأيه - أن الإبداع إنما هو نتاج شخصية مريضة نفسياً تعاني الكبت والقمع، وغير ذلك، وبتساميها عن غرائزها تظهر العبقرية أو النبوغ في العلم أو في الفن(٦١).

---

(٦١)د. علي عبد المعطي محمد– الإبداع وتذوق الفنون الجميلة- ص ١١٦ – ١١٧ . على أن ذلك غير مُسلَّم به لفرويد حتى من قبل تلامذته، فيونج، وهو أحد تلامذته، لا يوافقه على اعتبار الفنان مريضاً تنبعث منه عبقريته من أسباب مرضية . انظر في ذلك: سيد قطب - النقد الأدبي الحديث: أصوله ومناهجه - ص ١٩٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو أن ينظر إليه على أنه كلام إنسان طبع بحتمية الجنس والنوع والبيئة بمعنى أنه من نتاج هذه الحتمية، عند "تين " وغيره من أصحاب النظرية الاجتماعية في تفسير الإبداع الأدبي(٦٢)، أو أن نفهم الوحي بمعنى الإلهام، كما يفهمه أصحاب نظرية الإلهام والعبقرية في تفسير الإبداع، فصورة الأديب عند هؤلاء صورة إنسان مسلوب الإرادة، فاقد الوعي، تسيطر عليه قوة خفية يسمونها مرة إلهاً، وأخرى شيطاناً ، أو هي مجموعة قوى أو آلهة - كما يزعمون - فيصبح الإنسان المبدع عندهم. " مجرد واسطة أداة أو لسان حال لقوة عليا فوق الطبيعة لا حرية له ولا اختيار "(٦٣).

ثالثاً: علينا ألا نتناول الحديث الشريف على أن غاية صاحبه ﷺكانت الإبداع الأدبي قصداً، فما كان رسول الله ﷺ بشاعر ولا ناثر (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) [يس / ٦٩]، فإنما غاية المبدع عند أغلب المدارس النقدية هي التعبير عما يحس ويشعر، بل قد تصبح عملية الإبداع في حد ذاتها غاية كما هي عند أهل الفن للفن. بل كانت غايته الأساسية ومهمته الأولى والأخيرة هي الدعوة وتبليغ الرسالة. **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ**

---

(٦٢)المصدر السابق (الإبداع الفني) -ص ٢٠٢.
(٦٣)المصدر السابق – ص ١٦٦ – ١٦٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [المائدة / ٦٧]، فلم يكن شاعراً أو مبدعاً يقصد الإبداع؛ فهل يعني هذا أن " كلامه " ﷺ وهو نص منطوق، لم يرق إلى الأسلوب السامي أو الراقي في الأدب ؟ بحسب أن " كلامه " ﷺ ينتمي حينئذ إلى اللغة العادية - كما يسميها فتجن شتين - [٦٤] أي اللغة المستخدمة في الواقع الحياتي المعيش، أو ما تسمى في أسلوبية " بالي " باللغة التلقائية أو اللغة الطبيعية، التي لا تملك القدرة على إنتاج المثل الأدبي الأعلى. يقول بالي: " إن اللغة الطبيعية كتلك التي نتكلم بها جميعاً، ليست في خدمة الفكر الخالص، وليست في خدمة الفن، فلا تملك المثل الأعلى لأي منهما " [٦٥]، وفحوى هذا الكلام أن هناك مستويين لغويين: الأول: عادي وتمثله اللغة العادية أو المنطوقة أو التلقائية، وآخر فني، يبدو في الآثار الأدبية الرفيعة المكتوبة.

وعلى الرغم من هذا، فقد اهتمت أسلوبية بالي بالخطاب أو الكلام اللساني في أي مستوى لغوي كان، بينما اقتصرت الأسلوبية بعده على دراسة الكلام الفني، ومن ثم نصل إلى محور التساؤل نفسه: **هل كان نص الحديث النبوي - وهو نص منطوق في الأصل - يمثل**

---

(٦٤)د.محمود فهمي حجازي، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر–بيروت–١٤٠٥ه / ١٩٨٥ م -ص ١٠٦.

(٦٥)د.شفيع السيد-الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي-ص ٩٤.وانظر: المسدي: الأسلوبية والأسلوب - ص ٤١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مستوى فنياً برغم انتمائه إلى اللغة العادية أو التلقائية، كما أشرنا آنفاً، أي: هل يمثل مستوى أسلوبياً جديرا بالدراسة ؟

الحديث النبوي الشريف إلى أي مستوى أدبي ينتمي ؟

مشروعية التساؤل وضرورة الإجابة عنه تنبع من أن الأسلوبية في حدود علمنا، وكما أشرنا، صارت تحصر نطاق دراستها في الآثار الأدبية الفنية، كما يرى ليوسبيتزر(٦٦)، والحق أنه بالرغم من أن الحديث الشريف يعتبر في الأصل نصاً منطوقاً ينتمي إلى اللغة العادية أو الطبيعية أو المستعملة، فإن هذا لا يقدح فيه، بل هو ميزة؛ **إذ الكلمة المنطوقة الصادرة عن جسد حي تبدو أقرب إلى الفكر الخلاق من الكلمة المكتوبة** (٦٧)، ولا غرابة في ذلك، فاللغة المنطوقة أسبق وسائل الاتصال اللغوي الإنساني(٦٨)، لكن إلى أي مستوى من مستويات الاتصال اللغوي يمكن أن ينسب النص -

(٦٦)د. عبد السلام المسدي-الأسلوبية والأسلوب-ص ٤٢ .وانظر كذلك د.شفيع السيد-الاتجاه الأسلوبي-ص ٩٦.

(٦٧)رامان سلدن– النظرية الأدبية المعاصرة–ترجمة د.جابر عصفور- الهيئة العامة لقصور الثقافة–القاهرة-د. ت- ص ١٦٥.

(٦٨)د. محمد العبد - اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة: بحث في النظرية - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع – القاهرة - ط ١ - ١٩٩٠م – ص ٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النبوي الشريف. أهو مستوى الخطاب العادي أم هو المستوى الأدبي الرفيع ؟

ما من شك في أن العصر الذي بعث فيه النبي ﷺ كان عصر الفصاحة والبلاغة الفطرية، والمهارة اللغوية لدى العرب، وهو أرقى عصور اللغة العربية من حيث امتلاك أبنائها زمامها تحدثاً وشعراً وفصاحة وبلاغة، وما نعرفه عن منتدياتهم الشعرية-إن جاز التعبير-دليل على ذلك؛ فلم يعلم أن أمة كانت تقيم للكلمة المنطوقة سوقاً يتبارى فيه الشعراء غير هذه الأمة سواهم، وأكثر دلالة منه نزول القرآن الكريم متحديا إياهم أن يأتوا بمثله القرآن ثم بعشر سور مثله مفتريات، ثم بسورة ... ومعلوم أن أهم شروط المعجزة أن تكون من جنس ما نبغ فيه القوم.

ويمكننا القول: إن الجماعة اللغوية العربية في عصر ما قبل الإسلام وعصر النبوة قد توافقت على سلوك لغوي مكنها من استعمال اللغة على نحو فصيح، وإن اختلفت لهجاتها، فاختلاف لهجات الجماعة اللغوية العربية لا ينقض هذا التوافق في السلوك اللغوي العربي لتلك الجماعة آنذاك. واللهجة المقصودة هنا ليست تلك المقابلة للمستوى الفصيح من الاستعمال اللغوي لأي لغة، بل اللهجة عند الجماعة العربية حينذاك تعني اللغة الفصيحة؛ فلهجات العرب: أي لغاتها الفصيحة. هذا ما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أكده الحديث الشريف المشهور" **أنزل القرآن على سبعة أحرف** " (٦٩).

وقد فسر كثير من العلماء أن المراد بالأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن الكريم: لغات العرب الفصيحة. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال " أنزل القرآن على سبع لغات، منها خمسة بلغة العجز من هوازن. قال: والعجز: سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف، وهؤلاء كلهم من هوازن، ويقال لهم عُلْيا هوازن، ولهذا قال أبو عمر بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم "(٧٠)، ونزول القرآن على هذه اللهجات أو اللغات الفصيحة دليل دامغ على أنها جميعها قد وصلت إلى مستوى مثالي في السلوك اللغوي بين أفرادها، أقره القرآن الكريم ونزل به، بل تحداهم فيه أيضا، ولولم يكونوا كذلك لما تحداهم القرآن الكريم.

ويبدو أن الجماعة اللغوية العربية تلك تتميز بهذا عن أي جماعة أخرى؛ ذلك أن اللهجات في اللغات الأخرى منها الفصيح ومنها غير الفصيح، أما الجماعة

---

(٦٩)انظر: المسند -ج رقم (٨٦٣ / ٨٦٤ / ٨٦٥) .

(٧٠) ابن حجر العسقلاني.فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تحقيق: عبد العزيز عبد الله بن باز وترقيم:محمد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث. القاهرة. ط ١ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٨٨ م – جـ ٩، ص ٣٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العربية التي نزل فيها القرآن الكريم فقد كانت لهجاتها أو لغاتها فصيحة [٧١].

نستطيع إذن أن نزعم أن الجماعة اللغوية العربية آنذاك قد كانت متجانسة في سلوكها اللغوي بقدر كبير، وإن لم يكن تاماً فلا نستطيع الزعم أن التجانس والتوافق كانا تامين مطلقين، فهذا الأمر تنقضه البديهة. ولذا لم يؤد هذا التجانس أو التوافق إلى إهمال التنوع والتفرد في السلوك اللغوي بين أفراد هذه الجماعة، ونظرة على شعر شعراء المعلقات تكشف عن هذا التنوع والتفرد في السلوك اللغوي لهؤلاء الشعراء وهذا ما كشفت عنه دراسة أسلوبية لشعر هؤلاء الشعراء [٧٢].

ورسول الله ﷺ كان فرداً من أفراد هذه الجماعة، وسلوكه اللغوي في حديثة الشريف جزء من السلوك اللغوي لهذه الجماعة آنذاك. إنه سلوك لغوي أقرب إلى أسلوب عصر النبوة منه إلى أسلوب القرآن. ويحاول

---

(٧١)ولذلك يُخطِّئ العلماء من يقول: اللغة العربية الفصحى، بل عليه أن يقول الفصيحة، فليس فيها أفصح وأقل فصاحة. بل فصيح وغير فصيح.

(٧٢)هذه الرسالة هي رسالة دكتوراه للباحث /أحمد عثمان محمد رمضان وهي بعنوان: المعلقات: دراسة أسلوبية. مخطوطة بكلية الآداب. جامعة المنوفية ١٩٩٩م. وكشفت هذه الدراسة عن أنه – رغم التزام شعراء المعلقات بعمود الشعر العربي – قد كان لكل شاعر منهم أسلوبه الخاص المتفرد الذي يمتاز به عن غيره.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرافعي، في إيجاز، أن يصف فصاحة كلام النبوة وبلاغته وتبيان مكانته فيقول: "وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض، أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء"(٧٣).

وجميع شهادات البلاغيين، فيما نعلم، ترقى بكلام النبوة إلى المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم في الفصاحة والبلاغة، على الرغم من أنه لم يكن يعني الإبداع الأدبي قصداً، ولم يكن صنعة كما يصنع الشعراء والكتاب، فينظرون فيما كتبوا، فينقحون، ويثبتون، ويحذفون ويضيفون مثبتين ما يختارون على ما يستبعدون، فيأتي كلامهم بليغاً ومتكلفاً، وإنما كان كلامه طبعاً وفطرة أصيلة يصدر عن تلقاء نفسه واختيار ذهنه فكره مؤيدا بالوحي، ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له ﷺ إلا " **توفيقاً من الله وتوقيفاً** " (٧٤) .

كيف لا ؟ وقد كملت فيه أداتها خلقة، وآلتها طبعا، يرفدهما التأييد بالوحي، فكان مما وُصِفَ به رسول الله ﷺ: " **أنه كان ضليع الفم** " (٧٥) أي : واسع الفم، ومما وَصَفَ به رسول الله ﷺ نفسه قوله " **بُعثت بجوامع الكلم**

---

(٧٣)الرافعي-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية-مكتبة مصر-د.ت ص ٣٢٣.

(٧٤) المصدر السابق -ص ٣٢٤.

(٧٥)أخرجه الترمذي- في المناقب- ج رقم (٣٦٤٦) و (٣٦٤٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

" [٧٦]، فكان ﷺ كأنما ألفاظ اللغة قد أفضت إليه بأسرارها، وكاشفته بحقائقها " وكأنما [كما وصف الرافعي] " قد وضع يده على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه"[٧٧]،" فيخاطب كل قوم بلحنهم، وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطاباً وأسدهم لفظاً وأبينهم عبارة، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عرف لقد كانوا نقلوه وتحدثوا به، واستفاض فيهم " [٧٨].

لعل هذا كان مصدر عجب بعض صحابته – رضوان الله عليهم – كما جاء في قولهم له: " يا رسول الله ! كأنك كنت ترعى بالبادية " [٧٩]. وإذا تعلق الأمر بالنشأة اللغوية للنبي الكريم ﷺ " فإنه تقلّب في أفصح القبائل وأخلصها منطقاً وأعذبها بياناً، فكان مولده في بني هاشم وأخواله من بني زهرة، ورضاعه في بني سعد بن بكر ومنشأه في قريش، ومتزوّجه في بني أسد ومهاجرته إلى بني عمرو، وهم الأوس والخزرج، ولم يخرج عن هؤلاء في النشأة واللغة، ولقد كان في قريش وبني سعد وحدهم ما يقوم بالعرب جملة ، ولذا قال ﷺ

---

(٧٦) المسند- ج رقم (٧١) .

(٧٧)مصطفى صادق الرافعي. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – ص ٣٢٨.

(٧٨) المصدر السابق. ص ٣٢٤.

(٧٩)المسند -ح رقم (١٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

:" أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر" (٨٠).

أقول إذا كان تعلق أمر فصاحته بالنشأة اللغوية، وهو أمر صحيح، فإننا نرى جانباً آخر أهم ينطق به قوله تعالى ممتنا على رسوله الكريم ﷺ: **"وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا "**[النساء / ١١٣]، فلم يُعلم – يقيناً حق يقين أنه ﷺ تعلم شيئاً عن العرب، ولا كان لهم علم بدراسة الفوارق البلاغية بين الألفاظ أو في التراكيب أو في الصور والأخيلة، بل لم يكن لأحد من قومه شيء من هذا القبيل دراسة وتعلماً فقد كانت ثقافة القوم ثقافة سماعية، ينطلقون في لغتهم وأشعارهم وبيانهم عن حس لغوي وبلاغي فطري، وإن اختلف هذا الإحساس من فرد إلى آخر.

وعلى الرغم من أن " الحديث "- كما ينبئ عنه مدلوله اللغوي- يتناول الكلام العادي الذي يجري بين الناس في مخاطباتهم اليومية، وهي لا تستدعي فكراً

---

(٨٠)مصطفى صادق الرافعي. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. ص ٣٢٦. – ص ٣٢٧. والحديث الذي استشهد به الرافعي ولم يوثقه هو في: **كشف الخفاء للعجلوني**. طبع مكتبة التراث.ج١،ص ٢٣٢ .وفي: **الشفا**: للقاضي عياض-مكتبة الفارابي. ج١ ، ص ١٧٨ . و**هذا الطرف من الحديث في موسوعة= =أطراف الحديث النبوي الشريف**. إعداد أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني غلول-دار الفكر– بيروت-ط١-١٣١٠هـ/١٩٨٩ -المجلد الثاني-ص٥٠٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عميقاً، وقصداً أدبياً، فإن " أحاديث الرسول ﷺ وإن كانت فيض الخاطر، وعفو البديهة، يبدو عليها أثر الإلهام، وسمة العبقرية، وطابع البلاغة "(٨١)، رغم انتمائها إلى الإبداع الشفاهي– إن صح التعبير– أو إلى الثقافة الشفاهية الخالصة، وليس هناك ما يناقض أن تحقق بعض هذه الثقافات الشفاهية، التي لم تكن تكتب إبداعاتها، مستوى أدبياً رفيعاً وأول هذه الثقافات الشفاهية: الثقافة العربية على عهده ﷺ " فالثقافة العربية ثقافة شفهية الأصل، ومتحولة إلى كتابية منذ مطلع الإسلام إلى اليوم "(٨٢).

ولقد برهن " بعض الباحثين على أن الثقافات الخالصة الشفاهية يمكن أن تولد أشكالاً فنية للقول، فيها حذق ومهارة " (٨٣) وإذا كان حديثه ﷺ لا يحتاج إلى تلك البرهنة، ففصاحته وبلاغته أمر يقر به أعداؤه قبل أتباعه، ولذا افتخر ﷺ فخر المتواضعين على العرب جميعاً، كما في الحديث السالف، وكما في قوله: " **أنا**

---

(٨١)أحمد حسن الزيات – تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة – بيروت – ط ٢٨. ١٩٧٨م، ص ١١١.

(٨٢)والتر. ج. أونج-الشفاهية والكتابية-ترجمة د/حسن البنا عز الدين-عالم المعرفة الكويت-العدد (١٢٨) ـــ١٤١٤هـ/١٩٩٤ م ص ١٤.وانظر أيضاً :ص٤٤.

(٨٣)المصدر السابق -ص ١٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أفصح من نطق بالضاد " [٨٤]، وقوله :" **أنا أفصحكم** " [٨٥] ولم ينقل أحدٌ أن أحداً قد أنكر عليه ذلك.

ولقد كان كلامه ﷺ وهو كلام شفاهي منطوق فحسب– يسمعه المسلمون فتكون له عندهم قوة القانون المحرك والمسيطر. لا، بل الملزم أيضاً، بل حتى إشاراته ﷺ [٨٦]؛ فلقد كانت كلماته، ولم تكن إلا منطوقة، ذات قوة تأثير سحرية، وهكذا الكلمة في الثقافة الشفاهية، ولاسيما إن صدرت من قِبل رسول اللهﷺ[٨٧].

ونعتقد أن مصدر قوة الكلمة عنده ﷺ راجع إلى أمور:
الأول: بلاغته وفصاحته.
وثانيها: شخصيته التي تفرض سلطانها على من يسمعه.
وثالثها: الأمر الإلهي بتعظيم قوله ﷺ،والأخذ به وعدم الاعتراض عليه، لأنه رسول مؤيد بالوحي. قال تعالى:(

---

(٨٤)محمد بن علي الشوكاني: الفوائد المجموعة للشوكاني – مكتبة السنة المحمدية - ص ٣٢١. وكشف الخفاء للعجلوني-ج ١ - ص ٢٣٢ .وهذا الطرف من الحديث بموسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف - المجلد الثاني- ص ٥٠٨.
(٨٥)ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق-طبعة بيروت-ج٢–ص١٣١. وهذا الطرف من الحديث ورد بموسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف-المجلد الثاني-ص ٥٠٨.
(٨٦)راجع المسند- ج رقم (٥٨٥) و (٥٤٦) و (٥٤٧).
(٨٧)انظر: والتر .ج. أونج - الشفاهية والكتابية – ص ٩١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا) [النساء /٦٥] (٨٨).

وإن كان الحديث النبوي الشريف، في الأصل، نصاً شفهياً أي منطوقاً، إلا أنه صار بعد تدوينه نصاً مكتوباً، بل أصبح بين أيدينا !! بل من المستحيل استعادته. ولا خلاف على أن بلاغة المتكلم يدخل فيها – إضافة إلى فنيات الكلام وبلاغته - طريقة الأداء، والتعبيرات الجسدية والإشارات ونظرات العينين، ونبرة الكلام ونغمته، وإيقاعه الحي الحياتي المعيش. والانفعال والترديد أو التكرار.

وهي كلها أدوات بلاغية تصاحب التعبير بالكلمات المنطوقة، ولها دورها الهام في عملية التواصل اللغوي الفعال، وعليها يتوقف المغزى من الكلام المنطوق. إن كلمة واحدة مثل " **يا سلام** "، بحسب هذه الوسائل المصاحبة للتعبير الكلامي كالنبر أو التنغيم، يمكن أن يفهم منها -على حسب الموقف والسياق– معنى الاعتراض، أو معنى الاستحسان، أو حتى الرفض، أو المناجاة؛ فللهجة الكلام ونبره وتنغيمه أو طريقة إلقائه أثرها الفعّال في تحقيق التأثير والاستمالة والإقناع،

---

(٨٨)راجع المسند -ج رقم (٥٥٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولعلنا نذكر أن بالي قد اهتم بالكلام المنطوق أو" الكلام العادي"، بل كان يرى أنه" أجدر بدراسة اللغوي من التعبيرات الأدبية المنتقاة "(٨٩).

وكم كنا نتمنى أن نستطيع أن ندرس حديثه ﷺ أسلوبياً على أساسه المنطوق، ولكن، أنّى لنا ذلك ؟! والحديث وصل إلينا مكتوباً، فافتقد كثيراً من الوسائل البلاغية المصاحبة لبلاغة الكلام الذي صار نصاً مكتوباً.

وإذا حاولنا أن نضرب مثلاً قد تساعدنا بعض الأحاديث. خذ، مثلاً، حديثه ﷺ الذي رفض فيه زواج علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - من بنت أبي جهل، على فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – فصعد المنبر وقال: **" إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم على بن أبي طالب، فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعة مني يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها"**(٩٠).

فلا شك أن طريقة الأداء لم تكن هادئة على الإطلاق، بل فيها حرارة وانفعال، وإثارة، ولاشك أن

(٨٩)د. شفيع السيد - الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي - ص ٩٤.
(٩٠)المسند ج -رقم (٤٥٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الضغط على بعض الجمل، أو المقاطع، قد كان حاداً، ولاسيما في قوله :" فلا آذن"، ثم تكراره. حاولْ أن تتخيل تعبيرات أو ملامح وجهه ﷺ في نطق هذه الجملة المكررة ثلاثاً . مع ما توحي به من حسم وقطع – مَنَّ الله علينا برؤياه – ثم حاول أن تتخيل هذه الملامح وهو يقول: "إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ". وقد حذف أو أسقط اسم عليّ – رضي الله عنه - ويشير إليه بابن أبي طالب، وكأن لهجته لهجة تحذير وإشعار بزوال مكانته إن هو أقدم على هذه الخطوة، فتصبح العلاقة علاقة نسب، ثم لنتخيل كيفية نطقه عليه الصلاة والسلام بخاتمة الحديث " فإنما هي بضعة مني ..."، فمن اليقين أن نغمتها لم تكن كتلك التي كانت في قوله: " فلا آذن ... ".

ويدلنا على أنه ﷺ كانت له طريقة خاصة في إلقاء الكلام أو الحديث، تختلف عن طريقة معاصريه، حديث عائشة – رضي الله عنها – وقد سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يسرد الحديث[٩١] " أي يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض[٩٢] فأنكرت عليه قائلة: " إن رسول الله ﷺ **لم يكن يسرد الحديث كسردكم** "[٩٣]، ووصفت طريقته ﷺ في الحديث بقولها: " **إن النبي كان يحدث حديثاً لوعدّه**

---

(٩١)انظر: ابن حجر - فتح الباري - جـ ٦، ص ٧٠٣.
(٩٢)المصدر السابق -ج ٦ -ص ٤٠٧.
(٩٣) المسند - ج رقم (٧٢٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العادُّ لأحصاه "[٩٤]: تريد بذلك أنه ﷺ كان يتحدث حديثاً " فَصْلاً، فهماً تفهمه القلوب" [٩٥]، وتحفظه الذاكرة بحيثُ إن المرء لو حاول " عدّ كلماته أو مفرداته أو حروفَه لأطاق ذلك وبلغ آخرها، والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم " [٩٦].

ويقينا أن تلك الطريقة كانت ذات تأثير فائق في نفوس متلقيه، وفي حفظهم حديثه بلفظه – في أغلبه، وإنما روي بعضه بمعناه – فيما نظن- لتأخر عصر تدوينه.

ولذا، فإننا نؤكد على ضرورة وضع هذه الخاصية الشفاهية للحديث في الاعتبار عند التحليل الأسلوبي لأهميتها، وإن كان بعض الباحثين قد يحتج علينا بعدم الموضوعية؛ فإن هذا أصل" الحديث "، ولا يمكننا تجاهله. وأنت تسمع الحديث من خطيب مفوّه يحسّ بما يقول؛ فتتأثر أكثر به ألف مرة مما إذا قرأته في كتاب، ويشهد لهذا القرآن الكريم؛ فسماعه من قارئ مجيد يحسنه يختلف تماماً عما إذا قرأته.

---

(٩٤)أخرجه البخاري- في المناقب - باب صفة النبي ﷺ - ج رقم (٣٥٦٧).

(٩٥) ابن حجر - فتح الباري - ج ٦ - ص ٧٠٤.

(٩٦)المصدر السابق - نفس الجز ونفس الصفحة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نستطيع، بعد هذا، أن نقول إن الحديث – برغم انتمائه للكلام المنطوق – قد سما إلى مستوى أدبي رفيع يضعه كثير من البلاغيين، بل جميعهم، بعد أسلوب القرآن وبلاغته.

أي مفهوم للأسلوب أنسب في مقاربة الحديث النبوي؟؟ وأية منهجية أوفق ؟

إذا كان الباحث قد حاول أن يجدّر بعض ما ينبغي أن يكون منطلقاً أو ضوابط في دراسة أسلوب النبي الكريم ﷺ فمن الطبيعي، منهجياً، أن نعرف: عن أي مفهوم للأسلوب سنصدر وبأية منهجية من مناهج التحليل الأسلوبي سنقارب الحديث النبوي الشريف.

لعلنا قد ألمحنا، منذ البدء ،إلى تعدد تعريفات الأسلوب وتنوعها وكثرتها، إلى درجة قد تبعث على الحيرة، على أن ثمة تعريفا يمكن أن نتناول، على أساسه، حديث المصطفى ﷺ وقد آثرناه على مفاهيم أخرى يعرّف بها الأسلوب كمصطلح" الانحراف" أو" المفارقة "، أو اعتبار الأسلوب" إضافة "، أو"تضمنا"، أو" قوة ضاغطة تتسلط على حساسية القارئ" [٩٧]، ذلك

(٩٧)انظر:د. سعد مصلوح-الأسلوب:دراسة لغوية إحصائية-دار البحوث العلمية– الكويت-ومطبعة حسان بالقاهرة - ط١ - د. ت -ص ٢٦ : ٢٩. و **عدنان بن ذريل- النَصُّ والأسْلوُبيَّة: بين النظرية والتطبيق-**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن هذه المفاهيم ستدخلنا في جدال نظري، و اعتراضات منهجية، نحن في غنى عنها، **ولذا؛ فالتعريف المختار فهو أن الأسلوب اختيار؛ وذلك لسببين:**

الأول : **أنه التعريف الأقرب إلى القبول؛ حيث يتفق وطبيعة عملية الإبداع.**

الثاني :أنه يضرب بجذوره في التراث النقدي العربي، إن لم يكن قد كان مدركاً إدراكاً تاماً، على ما سنبين.

فأما من حيث السبب الأول؛ **فإن تعريف الأسلوب باعتباره " اختياراً أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة من بين قائمة الاحتمالات المتاحة في اللغة "** [٩٨]**-يعد أفضل تعريفات الأسلوب وأكثرها فائدة في استجلاء الأسلوب الأدبي، بل أصبح - كما يقول برند شبلنر- قائماً بوصفه نظرية أسلوبية شاملة** [٩٩].

من منشورات اتحاد الكتاب= =العرب، سورية -٢٠٠٠م-ص٤٤/٤٣.
والكتاب منشور في موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت dam.com‹www.awu .

(٩٨)د.سعدمصلوح-في النص الأدبي: دراسة أسلوبية إحصائية-ص٢٣.
وانظر: الأسلوبية والأسلوب للمسدي-ص ٧٥/٧٤.والأسلوب لأحمد الشايب.ص٥٢،حيث يقول:وكذلك يكون الاختيار الذي يتناول الأفكار والصور والعبارات عملاً أسلوبياً هوطريقة الصياغة التي تتصرف في تلك العناصر بما تراه أليق بموضوع الكلام.

(٩٩)انظر:برندشبلنر-علم اللغة والدراسات الأدبية-ص٨٥.وهو ما عبر عنه د.شكري عياد أيضاً حين اعتبر أن نظرية الأسلوب كلها تعتمد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو كذلك يتفق مع طبيعة النصوص المنطوقة، أو الشفوية، فإننا نقوم بعملية الاختيار، وإن كانت تتم ذهنياً وتلقائياً، "بواسطة نطق معين وتلوين صوت بنغمة معينة، وذلك كله يوظف لتحقيق غرض بعينه. بعبارة أخرى: نحن نجري على المواد اللفظية التي يوفرها لنا النظام العام للغة اختياراً، وهذا الاختيار الذي نجريه أو نقوم به لا يكون فقط تبعاً للإدراك الذي لدينا نحو هذا النظام، ولكن يقوم–أيضاً– تبعاً للإدراك الذي نتوقع أن يكون لدى المرسل إليه تجاه النص"(١٠٠).

ومن ثم؛ فإن المنشئ ليكون ذا تأثير على المرسل إليه المستقبل للرسالة، فإن عليه أن يقوم بعملية اختيار دقيقة للمفردات التي تعبر عما يريد أدق وأصدق تعبير؛ بحيث يستطع أن يثير في المتلقي نفس المشاعر والأحاسيس والمعاني التي أثارته. وهو ما يوجزه جينانج، حين يعرف الأسلوب بأنه " طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير" (١٠١)، وهذا يعني أن المنشئ، يعي دور

على فكرتي" الاختيار"و"الانحراف".انظر: شكري عياد -مدخل إلى علم الأسلوب-ص ٤٥.

(١٠٠)د. رجاء عيد - البحث الأسلوبي : تراث و معاصرة - ص ٩٧.

(١٠١)د. البدراوي زهران - أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث-دار المعارف-القاهرة-١٩٨٢م - ص ٨ .وانظر:الأسلوب-

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المتلقي، عند الإبداع؛ فهو يتوخى الدقة والإيضاح بغية التأثير على القارئ أو المتلقي، وإقناعه.

ولذا فإن الباحث يرى أن النظر إلى الأسلوب بوصفه اختيارا، وإن كان يركز على المبدع أو المنشئ أو المرسل؛ فإنه لا يهمل دور القارئ مخالفا بذلك ما يراه شبلنر؛ إذ قال: " ومن الواضح أن القارئ لم يدخل في إطار هذه النظرية الأسلوبية" (١٠٢)؛ فإن الأديب أو الشاعر أو الكاتب حينما يقوم باختيار غرضه وموضوعه ورمزه اللغوي وتركيبه وفي النهاية أسلوبه، إنما يكون القارئ في وعيه أثناء عملية الاختيار هذه، فهو إذا تحدث تحدّث إلى سامع أو كتب أو أبدع أبدع لقارئ يريد هو أن يؤثر فيه؛ فالاختيار كما هو مرتبط أساسا بالمبدع فهو، كذلك، محكوم بالمتلقي وبالموضوع والموقف والسياق.

إننا في النهاية نكتب ونبدع ليقرأ الآخرون، وليس هذا فحسب، بل قد يكون الإبداع في حد ذاته من أجل الآخر، المتلقي، فما من نص دون قارئ، ولا من مبدع

لأحمد الشايب- ص ٤٤. واللافت للنظر أن العبارة وردت،كما هي ، عند الأستاذ أحمد الشايب ، دون إشارة إلى جيانتج .

(١٠٢)برندشبلنر - علم اللغة والدراسات الأدبية- ص ٨٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دون قارئ؛ فهو إذن مفهوم يربط بين الخطاب والمخاطِب والمخَاطب، بل بمقام الخطاب والسياق [١٠٣].

ولعل أهم ما يتميز به هذا المفهوم للأسلوب:

١- **أنه يتفق مع التفريق بين " اللغة " و " الكلام " في علم اللغة**؛ فالكلام المستعمل مأخوذ أو مختار من محتوى اللغة، "هكذا يفهم الأسلوب على أنه ظاهرة للكلام من دون أن يفقد الارتباط باللغة، حيث يختار من محتواها " [١٠٤].

٢- **أنه يشير بقوة إلى أن عملية الإبداع تتم بوعي**؛ فهو إذن ظاهرة إيجابية، على أنه لا ينبغي أن نفهم من ذلك – بالنسبة للرسول ﷺ، ولكثيرين من الأدباء – أنه كان يستعرض أولاً كل إمكانات نظام اللغة ثم يختار من بينها [١٠٥] بل هي عملية اختيار فطرية دون تأمل أو تفكر، بل كانت تتم سليقة أو ملكة وطبعاً، فلم يكن ﷺ يقصد الإبداع الأدبي، ولا عُرِف عنه أنه كان يهذب كلامه أو ينقحه أو يعيد النظر فيه، بل أحاديثه كلها عفو الخاطر والبديهة.

---

(١٠٣) د. سعد مصلوح-في النص الأدبي: دراسة أسلوبية إحصائية - ص٢٤.

(١٠٤)برندشبلنر - علم اللغة والدراسات الأدبية -ص ٨٥.

(١٠٥)انظر: د.مصطفى سويف - الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة -دار المعارف- القاهرة - ط٢ -١٩٥٩ م -ص٢٩٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣- **أن كثيرين من نظروا إليه بوصفه الأكثر نجاعة في التحليل الأسلوبي،** [١٠٦] حيث يمكن أن يطبق على الحديث الشريف للصياغات المتعددة الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في أحاديثه بل في الحديث الواحد أحياناً، وهذا يعني إمكانات اختيارية كانت تتم، تلقائياً، حسب الموقف والسياق ونوعية المتلقين.

٤- **أننا يمكننا استرجاع الإمكانات الاختيارية التي كان من الممكن استعمالها ثم أبعدت أو تركت،** وذلك بالرجوع إلى نظام اللغة حينئذٍ، وإن كنا لا نرى اختلافاً بيناً في نظام اللغة العربية حينئذ عنه اليوم، اللهم إلا في الاستعمال اللغوي المتحقق اليوم.

أما من حيث السبب الثاني؛ فإن البحث يزعم أن تصور الأسلوب على أنه عملية اختيار يقوم بها المنشئ من بين مجموعة البدائل المتاحة في النظام اللغوي، تلك التي تكون أشد صلة بالموضوع و أصدق دلالة على ما يريد – **يزعم، إن لم يكن حقاً، أنه كان تصوراً مدركاً لدى النقاد العرب القدامى، بل كانوا يصدرون عن وعي به في بعض أحكامهم، وإن بشكل غير مباشر،** وليس القصد من ذلك إثبات شرعية للتراث النقدي العربي أو إظهار أسبقية له في المصطلح. وإن كان حقاً مشروعاً،

---

(١٠٦)انظر: د. صلاح فضل -علم الأسلوب : مبادئه وإجراءاته - الهيئة المصرية العامة للكتاب- ط ٢- ١٩٩٥ م . ص ٨٩/ ٩٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل إقرار ملاحظة جديرة بالتسجيل حتى لا نتنكر لتراثنا النقدي؛ إذ ليس من المقبول أن نطالبهم بإنتاج نظرية كتلك النظرية الأسلوبية، متجاهلين الفوارق الزمنية الثقافية والمعرفية.

وأزعم كذلك أن الناقد العربي قديماً قد أعرض عن ذكر الأساس النظري لهذا التصور إدراكاً منه أن متلقيه في هذه العصور- ولاسيما في عصر ما قبل الإسلام وما بعده - قد كان يعي ويدرك سر إطلاقه حكماً من الأحكام النقدية على شعر شاعر ما أو تفضيله مثلا على غيره. أو لنقل: سر تفضيله اختياراً ما على اختيار آخر، أو تفريقه بين اختيارات يتيحها نظام اللغة، بل يوازن بين الاختيار المتشكل أسلوبياً، والاختيار المستبعد أو المتروك.

ولعل الناقد العربي لم يكن يضطر للخوض في الإطار النظري لحكمه النقدي إلا إذا اعترض عليه، ولعل موقف حسان بن ثابت من النابغة الذبياني– "وقد كان حكم العرب في الجاهلية، وكانوا يضربون له قبة من أدم بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء، فتعرض عليه أشعارها فيقول فيها كلمته [حكمه النقدي] فتسير في الناس لا يستطيع أحد أن ينقضها" [١٠٧]إذ هم يدركون

(١٠٧)سعد الدين التفتازاني (مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني)-شرح السعد المسمى مختصر المعاني في علوم البلاغة-

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تماما أن الحكم الذي أصدره حكم له معاييره الموضوعية التي سكت عنها لعلمه أنهم يدركونها – أقول لعل موقفه منه، وقد فضل الخنساء عليه، إذ أنشدته قصيدته التي تقول فيها:

إن صخراً لمولانا وسيدنا وإن صخراً إذا نشتوا لنحار

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

(١٠٨)

خير دليل على وعي الناقد العربي، حتى في عصر ما قبل الإسلام، بمفهوم الاختيار، وأن جودة الأسلوب إنما إلى الاختيار الملائم من المواد اللفظية أو الوسائل اللغوية التي يوفرها نظام اللغة، بحيث ينبغي على الشاعر أن يكون ذا حساسية، يستطيع بها أن يلاحظ حسن التناسب والتلاؤم بين المعاني التي يريد أن يعبر عنها والاختيارات التي يقوم بها بالفعل من بين الإمكانات اللغوية المتاحة مفضلاً إياها على غيرها.

إن الشاعر لا " يعد شاعراً؛ لأنه فكر أو أحس، ولكن لأنه عبّر، وهو ليس مبدع أفكار، فإنما هو مبدع كلمات [مختارة اختياراً أنسب وأوفق وأبلغ وأصدق في التعبير عما يحس ويشعر]، وكل عبقريته تكمن في

تح/محمد محي الدين عبد الحميد-مكتبة محمد علي صبيح وأولاده-القاهرة-د. ت-ج١-ص ٦.

(١٠٨)ديوان الخنساء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اختراع الكلمة؛ فوجود حساسية غير عادية لا يخلق شاعراً كبيراً " [١٠٩]؛ **فشاعريته مردها إلى أسلوبه المتفرد الذي تجسده بلاغته ودقته في عملية الاختيار التي يقوم بها**. فأما أن تَقْصُر اختياراته اللفظية عن الدقة والمناسبة عن معانيه وأفكاره التي من أجلها قام بعملية الاختيار، فليس له أن يطالب بأن يكون أشعر ممن اتصفت اختياراته بهذا من الشعراء.

ويرى جاكبسون أساسين يستخدمان في التنسيق - ولعله يذكرنا بالنظم عند عبد القاهر الجرجاني-هما الانتخاب والتأليف، وقدّم مثلاً على ذلك كلمة (طفل)، " ولتكن هي موضوع الرسالة: فالمتكلم يقوم بعملية اختيار من بين مجموعة الأسماء الموجودة والمتشابهة تقريباً، مثل: طفل، صغير، وليد، رضيع. وتتعادل هذه الكلمات تقريباً من بعض وجهات النظر، ولكي يُعلّق، فيما بعد، على هذا الموضوع؛ فإنه يقوم بعملية اختيار لفعل من الأفعال الدلالية المناسبة، مثل: نام، نعس، رقد، غفا. وتتآلف الكلمتان المختارتان في السلسة الكلامية.

وهكذا نرى أن الانتخاب يقوم على قاعدة التعادل والتماثل، والتنافر، والترادف والتضاد، بينما يقوم التأليف وبناء المتوالية على المجاورة، والوظيفة الشعرية

---

(١٠٩)جون كوين-بناء لغة الشعر-ترجمة وتقديم .د أحمد درويش-دار المعارف-القاهرة-ط٣-١٩٩٣- ص٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تسقط مبدأ التعادل المحوري للانتخاب على محور التأليف " (١١٠).

ونستطيع أن نقول: إن حديث بلاغيينا القدامى عما يقتضي الحال ذكره إنما هو حديث عن تلاؤم الأسلوب – بالاختيار المناسب مما يتيحه نظام اللغة – مع الموقف والسياق أو المقام، وكذلك مع حال المخاطب، بل كانوا مطبوعين على ذوق وخبرة وفطرة يعرفون من خلالها ما يسحن اختياره في موطن ما أو غرض ما، ولا يحسن في موطن آخر، كما في حديثهم عما " **يحسن أن يستعمل من الكلام في موطن كالفخر دون غيره، وبما يجمل بالمتكلم أن يهجره ولا يعمد إليه** " (١١١) بالاختيار.

وإلا؛ " فمن أين للعرب معرفة مثل ذلك ؟ ومن الذي قال لهم: إن الأسياف والجفنات يدلان على أقل العدد ؟[وأن اختيارهما هنا في بيتي حسان للدلالة على الكرم، وبلوغه الغاية، دون اختيار السيوف والجفان] ؟ وإن معنى" يلمعن " دون معنى "يبرقن "، وإن مناسبة "الدجى" لكرم الضيفان أشد من مناسبة "الضحى "، ونحو ذلك"(١١٢).

---

(١١٠)جيرو - الأسلوب والأسلوبية - ص ٧٦.
(١١١)سعد الدين التفتازاني -شرح السعد - جـ١ - ص ٨.
(١١٢)المصدر السابق - نفس الجزء والصفحة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولعلنا، في هذا السياق، لا نرى ضرورة لتأكيد على أن الإمام عبد القاهر الجرجاني قد استخدم مصطلح " النظم "وهو يعني به " الأسلوب "، فهذا قد لاحظه قبلنا أستاذنا د.شفيع السيد، حين ذهب إلى أن عبد القاهر قد استخدمه في كتابه استخدماً دالاً في موضع واحد (١١٣) يعني قول الجرجاني: " **الأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه** " (١١٤).

وقد استخدمه عبد القاهر مرة أخرى استخداما دالاً أيضاً في قوله " فلم تستطع ذلك [أي التوفيق بين الألفاظ المسجّعة وبين معانيها التي جعلت أردافاً لها] **إلا بعد أن عدلت عن أسلوب إلى أسلوب أو دخلت في ضرب من المجاز، أو أخذت في نوع من الاتساع، وبعد أن تلطفت على الجملة نوعاً من التلطف**" (١١٥)؛

فالعدول عن أسلوب إلى أسلوب آخر، أو ما يسمى في الدراسات الأسلوبية بالانحراف أو المفارقة، يقوم في جوهره على عملية الاختيار أو التفضيل أي اختيار

---

(١١٣)انظر: د. شفيع السيد- الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي - ص ١٢. وأرجع إيثار عبد القاهر مصطلح " النظم " على " الأسلوب" إلى عدم شيوع كلمة أسلوب بين علماء عصره . انظر :ص ٢٣.

(١١٤)عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز - ص ٤٦٨ ، ٤٦٩.

(١١٥)السابق- ص ٦٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طريقة ما في النظم أو الأسلوب وتفضيلها على أخرى لا تحقق ما يتوخاه من توفيق بين اللفظ المسجوع ومعناه. اللهم إلا أن يقصد أستاذنا بالاستخدام الدال ذكر التعريف نصاً.

على أنه ينبغي أن نشير هنا إلى أن د. شوقي ضيف قد أشار إلى هذا الاستخدام للفظ " النظم " بمعنى الأسلوب؛ يقول: " ونرى عبد القاهر في مواطن كثيرة من " الدلائل " يبدئ ويعيد في إبطال أن يكون مرد الفصاحة إلى اللفظ أو المعنى– كما زعم الجبائى المعتزلي، وإن لم يصرح باسمه، إنما مردها إلى" النظم"، كما قال الباقلاني الأشعري، أو بعبارة أخرى: إلى الأسلوب وخصائصه وكيفياته [١١٦].

وما يعنيانه في المقام الأول – ونحن بصدد اختيار مفهوم للأسلوب، وتحديده بأنه " اختيار " – هو كلام الجرجاني عن الأسلوب في إطار هذا المفهوم. **مر بنا أن عبد القاهر عرف " الأسلوب بأنه " الضرب من النظم و الطريقة فيه " وما يلفت النظر في هذا التعريف هو أنه لم يعرف " النظم " بالأسلوب، بل عرّف الأسلوب على أنه ضرب من النظم وطريقة فيه: أي نوع من**

---

(١١٦)د.شوقي ضيف-البلاغة وتطوير وتاريخ- دار المعارف-القاهرة-ط٨-د.ت-ص١٦١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النظم وطريقة من طرائقه؛ فالأسلوب على هذا خاص، والنظم عام بالأساليب جميعها، وكل طريقة في النظم، أو ضرب منه، له أسلوب خاص.

وهذا الذي التفتنا إليه نظن أنه أمر هام؛ إذ الرجل أقام كتابه كله على نظريته في النظم، وذهب من خلاله يبسطها ويوضحها ويقررها، والرجل – كذلك – دقيق إلى أقصى حد في كلامه، وذلك واضح من خلال أسلوبه الجدلي في الكتاب، الرجل على وعي تام بما يقول ويكتب. فلو أنه قال: "والأسلوب هو النظم " لكان قد ساوى بين المصطلحين وجعلهما مترادفين، لكنه قال: **"الأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه [أي في النظم] فمعنى هذا أن النظم لديه أعم من الأسلوب فالأسلوب فردي خاص، والنظم عام شامل كل الأساليب والطرق الفردية.**

هذا معنى ينبغي أن نلتفت إليه جيداً. ثم إن طريقة النظم قائمة لاشك على الاختيار؛ فإن المبدع أو المنشئ عندما يريد التعبير عن أفكاره ومشاعره إنما ينظر في الإمكانات والوسائل التي يوفرها إطار هذه اللغة أو نظامها العام، فيختار من بينها بعض الاختيارات ثم يقوم بتشكيل هذه الاختيارات على مستوى التركيب أو التصوير، مما يشكل له أسلوباً فريداً أو نظماً خاصاً به؛

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإن كانت عملية الإبداع، لا تتم – في أغلب الأحيان – على هذا النحو النظري، فهي عملية مركبة معقدة .

عبد القاهر والأسلوب:

وعن هذا الفهم، نحسب أن عبد القاهر الجرجاني كان يصدر في فهمه " الأسلوب " و لاسيما إذا توقفنا، باهتمام، عند نصوصه التطبيقية التي ما يفتأ يُثنّي بها نصوصه النظرية؛ ليؤكد فكرته ويزيدها إيضاحاً وتبياناً.

ويعنينا، في هذا السياق، نصّان:

الأول: نعده نصاً نظرياً، والثاني نعده نصاً تطبيقياً: أما الأول: فهو قوله: **" وإذا قد عرفت أن مدار النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها و نهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض...وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش، فكما أنك ترى الرجل قد تهدّي في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج، إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الأصباغ، وفي مواقعها، ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إياها، إلى ما لم يتهدّ إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب، كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول"النظم"[١١٧].

يمكننا من خلال قراءة نص الجرجاني هذا قراءة واعية، أن نستخلص أنه يميز بين أسلوب شاعر وآخر، بناء على وعيه بأن أسلوب كل شاعر إنما يتشكل من خلال عملية الاختيار التي يقوم بها، وأن معيار التمييز بين أسلوب وآخر يكون – بناء على هذا– بمراعاة عدة اعتبارات، تصب كلها حول عملية الاختيار، وهي:

١- وقوف المبدع أو الشاعر على الغاية أو الغرض الذي من أجله يقوم بعملية الاختيار؛ " فالأغراض التي يوضع لها الكلام " غايته وهدفه الذي يختار، لأجل التعبير عنه، ما يريد مما تسمح به قواعد اللغة وأحكامها أو نظامها.

٢- أن تقوم عملية الاختيار هذه على ملاءمة الاختيارات لما أريد التعبير عنه، من ناحية، وأن تتناسب وتتلاءم هذه الاختيارات في علاقاتها بعضها ببعض، وهو ما أسماه عبد القاهر" ارتباط هذه الكلم [المختارة] بعضها ببعض " [١١٨] **أي: علاقة**

---

(١١٧)عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز - ص ٨٧ / ٨٨.
(١١٨)السابق -ص ٤٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكلمات بعضها ببعض في الاستعمال المتحقق بالفعل؛ فيعرف: هل هناك تناسب بين كلمة وأخرى وارتباط أولاً ؟ أو بين جملة وأخرى أو تركيب وآخر ؟ وهل هذا الاختيار المستعمل بالفعل كان الأنسب والأدق والأبلغ أو لا ؟

٣ . معرفة كيف تشكلت هذه الاختيارات أسلوبياً. هذا ما نفهمه من عبارة " وكيفية مزجه، لها وترتيبه إياها ".

إن هذه الاعتبارات هي جوهر عملية الاختيار القائمة على الوعي الذهني بالإمكانات اللغوية المتاحة والتي يهتدي إليها الشاعر بطبعه وفكره وحسه الشعري، وبقدر إصابته يكون أسلوبه. ذلك ما يفهم من قوله " قد تهدّي في الأصباغ ... إلى ضرب من التخير والتدبر".

وهو يؤكد على أهمية عملية"التخير"أو الاختيار في أكثر من موطن في كتابه كقوله في سياق التفريق بين"الضم"والنظم أو الأسلوب، وأن مرد المزية فيه إلى الاختيار. يقول: "واعلم أن من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبرته أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضم بعضه إلى بعضه، سبيل من عمد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى لآل فخرطها في سلك، لا يبغي أكثر من أن يمنعها التفرق"[١١٩].

ويضرب لذلك أمثلة من الكلام الذي لم يقصد فيه سوى " الضم " كقول الجاحظ " جنبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسباً [ثم يقول] " **فما كان من هذا وشبهه لم يجب به فضل إذا وجب، إلا بمعناه أو بمتون ألفاظه، دون نظمه وتأليفه، وذلك لأنه لا فضيلة حتى ترى في الأمر مصنعا، وحتى تجد إلى التخير سبيلاً، وحتى تكون قد استدركت صوابا**"[١٢٠].

ولعل هذا يذكرنا بمقولة الجاحظ الشهيرة التي أشار فيها إلى أهمية اختيار اللفظ في سياق تعريفه الشعر، ونعني بها قوله " وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، **فإنما الشعر صياغة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير**" [١٢١]، ولعل تلك الإشارة هي التي انطلق منها عبد القاهر في معنى الاختيار.

---

(١١٩)السابق -ص ٩٦.

(١٢٠) السابق - ص ٩٨.

(١٢١) الجاحظ - الحيوان - تحقيق وشرح / عبد السلام هارون -مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه –القاهرة-ط٢ ١٩٦٥م - ج ٣ - ص ١٣٢. وهذه المقولة تعني أن الشعر بناء يصاغ من الاختيارات التي يقوم بها الشاعر من ألفاظ اللغة، مشكلاً إياها في نسيج خاص أو بناء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما النص الثاني الذي نفهم منه أن الجرجاني كان على وعي تام بعملية الاختيار وأهميتها للأسلوب، وإن لم يكن قد قدّم لها تنظيراً كذلك الذي نجده عند الأسلوبيين المحدثين، **فهو قوله: - حين عرض لقوله تعالى: (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)** [مريم / ٤]- فذكر أن السابقين لم يروا فيه من مزية سوى ما فيه من استعارة، نافياً أن تكون المزية في قوله تعالى هذا " لمجرد الاستعارة "، **ولكن لأن سلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشيء، وهو لما هو من سببه، فيرفع به ما يسند إليه، ويؤتي بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده، مبينا أن ذلك الإسناد وتلك النسبة إلى ذلك الأول، إنما كان من أجل هذا الثاني، ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة كقولهم :" طاب زيد نفساً "... وأشباه ذلك مما تجد الفعل فيه منقولاً عن الشيء إلى ما ذلك الشيء من سببه.**

وذلك أنا نعلم أن " اشتعل " للشيب في المعنى، وإن كان هو للرأس في اللفظ، كما أن " طاب " للنفس ... وإن أسند إلى ما أسند إليه. يبين أن الشرف كان؛ لأنه سلك فيه هذا المسلك، وتوخى به هذا المذهب أن تدع هذا الطريق فيه، وتأخذ اللفظ فتسنده إلى الشيب

خاص أهم ما يمتاز به أنه تصوير بالكلمة. ويهمنا هنا إدراك الجاحظ أهمية الاختيار في عملية التشكيل الإبداعي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صريحاً فتقول " اشتعل شيب الرأس " أو " الشيب في الرأس "، ثم تنظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة؟وهل ترى الروعة التي كنت تراها؟... فإن السبب [في مزية الأسلوب القرآني] أنه يفيد، مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى، الشمول، وأنه قد شاع فيه وأخذه من نواحيه،وأنه قد استغرقه، وعم جملته، حتى لم يبق من السواد شيء، أو لم يبق منه إلا ما لا يعتد به وهذا مالا يكون إذا قيل " اشتعل شيب الرأس، أو" الشيب في الرأس"، بل لا يوجب اللفظ حينئذٍ أكثر من ظهوره فيه على الجملة" (١٢٢).

إذا تمعنّا في نص الجرجاني هذا – وقد اختار لأسلوبه صيغة المبنى للمجهول احتراما وتقديسا للنص القرآني، " **ولكن لأن سلك بالكلام ... ما ذلك الشيء من سببه** " ندرك أن كلام الجرجاني يعني ببساطة أن النظم القرآني اختار هذه المفردات بهذا التركيب مفضلاً إياه على نسق آخر أو تركيب آخر يتيحه نظام اللغة العربية قد افترضه الجرجاني افتراضاً.

---

(١٢٢)عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز- ص ١٠٠ – ١٠١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نحن، إذن، أمام اختيارين: اختيار مستعمل بالفعل آثره القرآن الكريم، واختيار أو اختيارات أخرى مستبعدة أو متروكة:
الأول: قوله تعالى " **واشتعل الرأس شيباً** ".
والثاني: مفترض، وهو" **واشتعل شيب الرأس**"، أو"**اشتعل الشيب في الرأس** ".

وعبد القاهر في براعة غريبة يقارن بينهما مقارنة أسلوبية مستخدماً ما يسمى في الدراسات الأسلوبية بمنهج استرجاع الإمكانات المتاحة في نظام اللغة متخذاً المقارنة أداة منهجية، فيقارن بين التركيب الذي آثره القرآن بالاختيار وبين التركيب الآخر الذي استبعده القرآن من خلال استرجاعه من نظام اللغة ما يمكن أن يكون تركيباً مستبعداً في هذا الإطار، أفلا يعني هذا أن عبد القاهر الجرجاني كان على وعي تام بما جعله الأسلوبيون المحدثون مفهوماً للأسلوب باعتباره اختياراً، وإن كان بعضهم قد اعتبره نظرية أسلوبية شاملة (١٢٣).

إنه ليس من قبيل التعصب كما نعتقد أن نقول: إن **عبد القاهر الجرجاني قد سبقهم، وأن ما ينقص عبد القاهر وغيره من نقادنا هو أن يتيسر لنتاجهم النقدي**

---

(١٢٣)انظر : الهامش رقم (٩٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من يتوفر عليه لإنتاج نظرية نقدية عربية تنبع من صميم تربتنا وثقافتنا وعقيدتنا، وأحسب هذا عملاً فوق طاقة فرد بعينه.

عبد القاهر لا يترك لقارئه مفراً من الاقتناع بوجهة نظره، ولذا لم يقف عند حدود المقارنة بل أتبعها بنتيجتها مبيناً القيمة الأسلوبية للأسلوب القرآني كاشفاً عن خصائص الأسلوب القرآني في هذه الآية – **وتلك مهمة الدارس الأسلوبي: أن يسعى لاكتشاف أسباب الاختيار سواء على مستوى الكلمة أو على مستوى التركيب أو على مستوى الصورة الفنية: لماذا اختار هذه الكلمة وليس تلك، ولماذا هذا التركيب لا غيره ؟-** يقول: " فإن قلت: فما السبب في أن كان" اشتعل " إذا استعير للشيب على هذا الوجه،كان له الفضل ؟ولم بان بالمزية من الوجه الآخر هذه البينونة ؟فإن السبب أنه يفيد...الخ".

وهو لم يسبغ على الأسلوب القرآني قيمة أسلوبية ليست فيه، بل كشف عنها فحسب، واستطاع أن يقرأ إشارات ذلك الأسلوب، وتلك سمة في الأسلوب الفني – كما يصفه الدكتور رجاء عيد – " المُحْتوي على عناصر فنيه ثرية ... يستطيع الفنان شاعراً أو ناثراً أن يشير [بها] إلى القارئ لمَ كانت تراكيبه على هذا النسق بالذات ؟ وما دلالتها على المغزى الخاص للذي يومئ إليه ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأي مقصد يريد لإبراز تكثيف فني داخل عمله الفني"[١٢٤]؟

على أننا ينبغي أن نشير إلى إشارة هامة في نصَّي الجرجاني السابقين. تلك التي تتعلق بإدراكه الفروق الأسلوبية بين تركيب وآخر وأن أي تركيبين، ولو كانا في معنى واحد، فلابد أنهما يختلفان دلالياً، وأن معيار التفرد في الأساليب حينئذ، في: فنية الصياغة، والاختيار، واستدراك الصواب–كما سماه –ذلك ما ينطق به قوله: **"وذلك لأنه لا فضيلة حتى ترى في الأمر مصنعاً، وحتى تجد إلى التخير سبيلاً، وحتى تكون قد استدركت صواباً "** [١٢٥].

ولعل هذا الكلام من عبد القاهر قوي الدلالة على إدراكه الواعي أهمية عملية الاختيار في الإبداع الفني، التي تظهر متجسدة في الصياغة الفنية التي يقوم بها المبدع شاعراً أو ناثراً مستبقياً ومستبعداً اختياراته على أن تقوم عملية الاختيار هذه على الدقة والوفاء بالمعنى المراد.

---

(١٢٤)د.رجاء عيد-فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور-منشأة المعارف بالإسكندرية-ط٢ -د. ت- ص ١٣٤.

(١٢٥)انظر الهامش - رقم (١٢٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا ما يعنيه عبد القاهر بقوله "وحتى تكون قد استدركت صواباً "؛ فلا نظن أنه يعني به مجرد الصواب النحوي أو اللغوي، فهذا أمر بدهي لأي أسلوب، وإنما يعني فيما نظن الصواب الذي به يتحدد المعنى ويصير دقيقاً لا لبس فيه بلطف في النظم، أو لنقل إنه الصواب، أو به الإصابة في الاختيار الدقيق المعبر تعبيراً وافياً عما يريد المتكلم أو المبدع أن يعبر عنه بحيث يفي بالمعنى المراد وفاء تاماً.

ربما يُظَن أن الباحث يلوي عنق نص عبد القاهر هذا ! كلا؛ فإن من تطبيقات عبد القاهر الأسلوبية الأخرى ما يشهد لهذا الفهم، ذلك حين عرض قوله تعالى في شأن المنافقين(**يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**) [المنافقون/٤]؛ فالآية الكريمة تفصح عن حال المنافقين وتفضح خبث ما تنطوي عليه قلوبهم من توجس وخيفة؛ " فهم لا يسمعون صوتا في العسكر أي صوت؛ قد يكون نداء منادٍ ينشد ضالة، وقد يكون من أثر انفلات دابة، إلا ظنوا أنهم يرادون بذلك. وقوم هذا شأنهم هم العدو الحقيقي الذي يخشى خطره، ولا يؤمن جانبه فعليك بالحذر الشديد منهم " (١٢٦).

(١٢٦)د. شفيع السيد - الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي - ص ٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لـولا أن الـنظم القرآنـي أو الأسـلوب القرآنـي قـد تـوخي الدقـة فـي الاختيـار: مـن حيـث المفـردات اختـار كلمـة " العـدو "معرفـة دون " عـدو "، واختـار تركيـب جملة " هم العدو" تركيباً مفصولاً عن الجملـة السابقة، عن عطفها كأن – يقال في غير القرآن- " فهم العدو" مثلاً، أو" وهم عدو" العطف، واختار إضمار ما تعلق به حرف الجر " على " دون إظهار اسم يتعلق به كأنه يكون التركيب لمفترض، كما افترضه عبد القاهر نفسه _ " يحسبون كل صيحة عليهم واقعة وهم عدو فاحذرهم " – لـولا أن الأسـلوب القرآنـي أتـى علـى الـنمط الـذي اختاره دون التركيب المفترض – لرأيت الفصاحة – كما يقول عبد القاهر – قد ذهبت عنه بأسرها أو لنقل بتعبير الأسـلوبيين المحـدثين: لـولا أنـه أتـى علـى هـذا الـنمط المختـار لمـا فهـم منـه المعنـى الـدقيق: **أي كـون هـؤلاء المنـــافقين هـــم العـــدو الأول والحقيقـــي للنبـــي ﷺ والمـؤمنين، فـي عصره، وبعد عصره**، ولـو أن الآيـة الكريمـة أتـت علـى النمط المفترض من عبد القاهر، لـم يلزم منه أن يكون المنـافقون العدو الأول والحقيقي الذي تنبغي الفطنـة إليـه والحـرص الشديد من سمومه الخفيـة، بـل يـصبحون عـدواً مـن ضـمن الأعـداء، وبالتـالي تقـل درجة الحذر منهم والاهتمام بشرورهم، ويقل الاكتراث بخيانتهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا يخفى أن الأسلوب القرآني حين آثر أسلوب القصر في قوله: "هم العدو " في سياقه أقوى في الدلالة وأشد بياناً أنهم هم أخطر الأعداء على الإطلاق، إذ هم هم معول الهدم الأول في بنيان الجسد الإسلامي الكبير.

ونستطيع بعد هذا كله أن نزعم زعماً يقوم عليه الدليل والبرهان: **أن عبد القاهر لم يكن على وعي بمعنى الاختيار، فحسب، بل كان أيضاً على وعي تام بأن مرد التفرد والتميز أو الاختصاص – كما سماه هو - يرجع إلى عملية الاختيار**: أي أن عملية الاختيار من بين الرموز اللغوية المتاحة من جانب المنشئ، وكيفية تشكيله هذه الاختيارات هي التي تميز نصاً من النصوص أو أسلوباً عن أسلوب، وعن طريقها نستطيع أن ننسب كلاماً إلى صاحبه أو قصيدة إلى صاحبها أو عملاً أدبياً إلى صاحبه إذا استطعنا أن نتعرف الخصائص الأسلوبية الخاصة به. وهذا إدراك بالحقيقة الأسلوبية التي تقر بـ" تفرد أسلوب شخص عن أسلوب " شخص آخر ... يقول دي لوفر: إن الأسلوب الفردي حقيقة بما أنه يتسنى لمن كان له بعض الخبرة أن يميز عشرين بيتاً من الشعر إن كانت لراسين ... أم لكرناى وأن يميز صفحة من النثر إن كانت لبلزاك ... أم لستاندال " (١٢٧).

(١٢٧)د. عبد السلام المسدي - الأسلوبية والأسلوب- ص ٦٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك هو الزعم. فأما الدليل فهو قول عبد القاهر، وأما البرهان فتطبيقه: ومن حيث قوله فهو " اعلم أنا إذا أضفنا الشعر، أو غير الشعر من ضروب الكلام إلى قائله، لم تكن إضافتنا له من حيث هو كلم وأوضاع لغة، ولكن من حيث نُوُخِّي فيها " النظم " الذي بينا أنه عبارة عن توخي معاني النحو في معاني الكلم. وذاك أن من شأن الإضافة الاختصاص ... وإذا نظرنا وجدنا [أي الشعر] يختص به من جهة توخيه في معاني الكلم التي ألفه منها، ما توخاه من معاني النحو، ورأينا أنفس الكلم بمعزل عن الاختصاص ... [فإذا] قلت " امرؤ القيس قائل هذا الشعر " [فانظر] من أين جعلته قائلاً له ؟ أمن حيث نطق بالكلم وسمعت ألفاظها من فيه، أم من حيث صنع في معانيها ما صنع، وتوخي فيها ما توخي ؟ " (١٢٨).

ولنتوقف قليلاً عند كلمة "التّوَخِّي ". التوخي: التّحري، وأصل الفعل وَخَى، و" الوَخْيُ: الطريق المعتمد، وقيل هو الطريق القاصد، وقال ثعلب: هو القصد ... يقال: توخّيتُ الشيء

(١٢٨)عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز - ص ٣٦٢ / ٣٦٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أتوخّاه توخِّياً إذا قصدتَ إليه و تعمدتَ فعله وتحريتَ"(١٢٩).

وواضح أن أصل المعنى اللغوي للكلمة يدور حول **تحري الدقة في الاختيار في أمر من الأمور عن قصد وتعمد. أي عن وعي إدراك كامل من جانب من يقوم بعملية التوخي**، ونحن على يقين أن عبد القاهر كان على دراية تامة بهذه الدلالة اللغوية للكلمة في أصل وضعها. هذا أمر بديهي، وقد انطلق منه عبد القاهر.

هذا واضح أيضاً من قوله " **يختص به من جهة تَوَخِّيه في معاني الكلم التي ألفه منها، ما توخاه من معاني النحو** " فالقائل يقوم بعملية اختيار من أوضاع اللغة أو ألفاظها يؤثر من خلالها ألفاظا على أخرى، ثم يقوم بعملية تأليف لها يتحرى فيها أن تنطلق من معاني النحو وأحكامه.

إنه بعبارة أخرى على وعي تام بأهمية عملية الاختيار التي يقوم بها الشاعر أو الأديب أو المتكلم أياً كان، متحرياً فيها الدقة في اختياراته المستبقاة من أوضاع اللغة التي تشكل المادة الخام لإبداعه، وهي

---

(١٢٩)ابن منظور-لسان العرب-دار صادر-بيروت ٢٠٠٠م-ط١-المجلد الخامس عشر-مادة " وخى "-ص ١٧٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لامزية لها في ذاتها، وإنما في كيفية تشكلها داخل النص المؤلف، وعملية الاختيار هذه على مستوى الكلمات أو مستوى التراكيب، أو مستوى الصورة هي التي تجعل للأديب طريقة خاصة في الأسلوب.

والتشبيه الحسي الذي استعان به عبد القاهر يقوي هذه الفكرة ويقررها في النفوس؛ فليست المزية في الاختصاص بالفضة في نفسها، من حيث هي مادة خام للصائغ، أو للإبريسم للناسج، وإنما المزية من جهة " العمل أو الصنعة ": أي من جهة تدخّله في هذه المادة باختيارات معينة في الخيوط والألوان، قائمة على استبقاء ما يناسب منهما واستبعاد ما لا يتناسب وفي تشكيله هذه الاختيارات أو "صناعتها"، بحيث ينتج في النهاية ثوباً ليست المزية فيه لمادته الخام، بل في كيفية اختيارات الناسج أو تقنية تشكيله هذه الاختيارات.

وكذلك الحال للصائغ ... وكذلك الحال مع الشاعر، أو المنشئ عموماً، فمرد التميز أو التفرد ليس في اختياراته رموزاً لغوية أو ألفاظاً معينة وتفضيلها وإيثارها بالاختيار على أخرى من الوعاء اللغوي فحسب، بل في كيفية تشكّلها أسلوبياً في نصه أيضاً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تطبيق الجرجاني يعد أقوى برهان على ما نذهب إليه:

عندما توقف عند نسبة قول امرئ القيس: " قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ " تساءل: **هل يمكن أن يتفق تشكيل البيت هكذا دون اختيار هذه الكلمات ودون أن يقصد امرؤ القيس إلى " هذا الترتيب من غير أن يتوخى في معانيها ما تعلم أن امرأ القيس توخاه من كون" نبك " جواباً للأمر، وكون "من "معدية له إلى ذكرى، وكون " ذكرى " مضافة إلى" حبيب "، وكون" منزل "معطوفاً على" حبيب"أم ذلك محال ؟ "**(١٣٠).

ولذا، يُعقب الجرجاني بقوله: **" وجملة الأمر أنه لا يكون ترتيب في شيء [والترتيب المقصود: ترتيب الكلمات في النص، والترتيب قائم على الاختيار الدقيق منطقياً] حتى يكون هناك قصد إلى الصورة وصفة، إن لم يُقدَّم فيه ما قُدّم، ولم يُؤخَّر ما أُخِّر، وبُدِئ بالذي ثُنِّى به، أو ثنى بالذي ثُلِّث به، لم تحصل لك تلك الصورة، وتلك الصفة ."** (١٣١).

إن مقدرة منشئ القول، بحسب قول عبد القاهر هذا، تكمن في قدرته على "الترتيب الخاص داخل البناء

---

(١٣٠)عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز - ص ٣٦٣.
(١٣١)السابق - ص ٣٦٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اللغوي الذي مبعثه دقة النظر في اختيار وحدة على وحدة، وتفضيل شكل على شكل، وبراعته في مسلكه بها داخل التركيب، أي في موقعها، ودقته في توخي معاني النحو فيما بينها من علاقات، وما يستتبعه من مطابقة، أي براعته في استفادته من طاقات اللغة حسب قوانينها " [١٣٢]بما يَسِم أسلوبه بخواصه الأسلوبية المميزة له التي تأتي أصلاً من علمية الاختيار التي يوقعها المبدع على مخزونه المعجمي، لينتقي منه " [١٣٣].

وأحسب أنه قد بات ظاهراً أن عبد القاهر لا يعني بقوله: "حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصفة إن لم يقدم ..."، سوى القصد في الاختيار من جانب المنشئ إلى صورة وصفة أي: إلى طريقة في الكلام تميزه عن غيره بصفات أو بسمات أسلوبية تختص بهذا الكلام دون غيره. **هذه الخصوصية أو تلك السمة الأسلوبية مردها إلى طريقة كل منشئ في الاختيار و الترتيب و التشكيل؛ فإمكانات اللغة كثيرة، لا حد لها، لكنها لا تتصف بتلك الخصوصية أو بسمة أسلوبية" حتى تُؤَلَّف ضرباً**

---

(١٣٢)د. البدراوي زهران- أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث- ص١٢.

(١٣٣)د. محمد عبد المطلب- جَدَلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم- الشركة المصرية العالمية للنشر و التوزيع- لونجمان - ط١ - ١٩٩٥م - ص ٨٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خاصاً [كما يقول عبد القاهر] من التأليف، ويُعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب"(١٣٤).

وهذا ما ينطق به تناول عبد القاهر بيت الفرزدق التالي –
في سياق بيان المعاني التي تختص بقائل دون آخر الذي يقول فيه:

وما حملت أم امرئ في ضلوعها ** أعق من الجاني عليها هجائيا

يقول عبد القاهر: " فإنك إذا نظرت لم تشك في أن الأصل والأساس هو قوله" وما حملت أم امرئ " وأن ما جاوز ذلك من الكلمات إلى آخر البيت، مستند إليه، ومبني عليه، وأنك، إن رفعته،لم تجد لشيء منها بياناً ولا رأيت لذكرها معنى، بل ترى ذكرك لها إن ذكرتها هذياناً "(١٣٥).

فمناط العطاء الأسلوبي للكلمات، إذن، في المكان الذي تقع فيه من التأليف والنظم، لا من حيث هي كلم

---

(١٣٤)عبد القاهر الجرجاني -أسرار البلاغة في علم البيان - تعليق محمد رشيد رضا- دار الكتب العلمية - بيروت ط١- ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م -ص ٢. وانظر كذلك: في الالتقاء بين وجهة نظر عبد القاهر التحليلية مع وجهة النظر الأسلوبية. د. سعد أبو الرضا: **في البنية والدلالة: رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية**- منشأة المعارف بالإسكندرية -د. ت -ص ٢٣، ٢٤.

(١٣٥)عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز - ص ٥٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مفردة، أي " في ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض " (١٣٦)، وهذا يعني، ببساطة، أن أي تغيير في الأسلوب أو حذف، أو إضافة أو تحوير يحيل نسبة البيت إلى صاحبه أو النص إلى صاحبه " حتى إنك لو حذفت الياء التي هي ضمير الفرزدق في آخر كلمة منه، وهي " هجائيا "، لم يكن الذي تعقله منه مما أراده الفرزدق من سبيل " (١٣٧)؛ " لأن غرضه تهويل أمر هجائه، والتحذير منه، وأن من عرض أمه له، كان قد عرضها لأعظم ما يكون من الشر " (١٣٨).

وهذا يؤكد، بما لا يدع مجالاً للشك، أن عبد القاهر كان على دراية تامة بأن الكلمات أو الرموز اللغوية أو أوضاع اللغة –كما يحب عبد القاهر أن يسميها– هي مواد الاختيار الأولى التي اختار من بينها الفرزدق، وأنها امتزجت في ذهنه وعقله بمشاعره وأحاسيسه امتزاجاً، خرجت به على هذا الضرب من النظم الذي تطابقت فيه الصورة الذهنية مع الأسلوب اللفظي، أو الصورة اللفظية التي تآخت وتعلقت فيها الكلمات بعضها ببعض تآخياً وتعلقاً صار به أسلوبه كأنه قطعة اجتُزِئت من فكره ونفسه.

---

(١٣٦)السابق - ص ٤٥.

(١٣٧)د. البدراوي زهران- أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث- ص١٨.

(١٣٨)عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز - ص ٥٣٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واقرأ معي، بعد هذا كله، كلام عبد القاهر، وهو يقول: **"وإذا كان هذا كذلك [أي إذا كان إطلاق " البلاغة " و " الفصاحة " والبيان يقصد به إتيان المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته واختيار اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلاً ويظهر فيه المزية] فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً وأمراً ونهياً واستخباراً وتعجباً، وتُؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة – هل يتصور أن يكون بين اللفظين تفاضلٌ في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به "** (١٣٩).

الكلمات قبل التأليف أو الاستعمال كثيرة ومتاحة، ولكن اختيار كلمة معينة وإيثارها بالاستعمال دون صاحباتها أو أضدادها على ما بينهما من اتصال في المعنى لا بد أنه كان لأن الكلمة المختارة بالاستبقاء أدل على المعنى المراد من المستبعدة، فنختار " الليث " مثلا ونترك " الأسد " لكون "الليث " مثلا أدل على السبع

(١٣٩)السابق - ص ٤٤. وما بين القوسين كلام عبد القاهر نفسه في ص ٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعلوم من " الأسد " فهذا - كما يقول عبد القاهر - بصر نافذ بأهمية الاختيار في عملية الإبداع، وإدراك واعٍ للفرق بين الكلمة في إطارها اللغوي، وبينها في الاستعمال الفعلي.

أو ليس هذا التصور هو الذي ارتكز عليه كل اللسانيين بعد دو سوسير متأثرين بتفرقته بين " اللغة " كنظام من الرموز و" الكلام" ؟ وقد ظهر هذا في مصطلحات كثيرة أشار إليها المسدي، " كاللغة " والخطاب" عند قِيّوم، و" الجهاز " و" النص"، عند هيا لمسلف، وطاقة القدرة وطاقة الفعل عند تشومسكي، والنمط والرسالة عند جاكبسون.

هذا، إذن،عبد القاهر قد سبقهم إليها. يشهد لما نقول شهادة الدكتور محمد مندور؛ حيث يقول عن سبق عبد القاهر هذا: " **وفي الحق إن عبد القاهر قد اهتدى في العلوم اللغوية كلها إلى مذهب لا يمكن أن نبالغ في أهميته، مذهب يشهد لصاحبه بعبقرية منقطعة النظير... مذهب عبد القاهر هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوربا لأيامنا هذه. هو مذهب العالم السويسري الثبت فردناند دي سوسير الذي توفي ١٩١٣م** " (١٤٠).

---

(١٤٠)د. محمد مندور . النقد المنهجي عند العرب . دار النهضة مصر . القاهرة د. ت. ص ٣٣٣ – ٣٣٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونظن، إن لم يكن يقيناً، أن عبد القاهر كان يصدر في كثير من تحليلاته الأسلوبية عن وعيه بهذا المذهب أو التصور: اللغة كنظام، اصطلح له مصطلحاً هو " معاني النحو وأحكامه"– والكلام الفعلي الذي ينشئه المتكلم متوخياً فيه هذه المعاني والأحكام أو القواعد واصطلح عليه " النظم "، وبدون هذا التوخي لا يوجد الأسلوب.

ولا يعني توخي معاني النحو تضييق مجال الإبداع، وطمس معالم التمايز بين الأساليب، بل على العكس ، فإنما " النحو " فقط الإطار العام ولا يتطلب من المنشئ إلا أن ينطلق في إبداعه منسجماً مع قانونه، ثم للمنشئ الحرية الكاملة في تصريف الكلام، من خلال هذا النظام، على وجوه وأنحاء لا حد لها.

وهذا ما عبر عنه رائد بارز من رواد الدراسة الأسلوبية العربية مبيناً العلاقة بين النحو والأسلوبية فقال: " إن النحو مجال القيود، والأسلوبية مجال الحريات، وعلى هذا الاعتبار، كان النحو سابقاً في الزمن على الأسلوبية، إذ هو شرط واجب لها، فكل أسلوبية هي رهينة القواعد النحوية الخاصة باللغة المقصودة، ولكنها مراهنة ذات اتجاه واحد، لأننا إذا سلمنا بأن لا أسلوب بدون نحو، فلا نستطيع إثبات العكس فنقول: لا نحو بدون أسلوب. على هذا المقتضى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُحدِّد لنا النحو ما لا نستطيع من حيث يضبط لنا قوانين الكلام، بينما تقفوا الأسلوبية ما بوسعنا أن نتصرف فيه عند استعمال اللغة " (١٤١).

وهذا المجال هو الذي كان يعنيه الجرجاني ويهتم به، مجال التصرف في استعمال اللغة مضبوطاً بقواعد النحو ومعانيه، فلم يكن يعني بتوخي معاني النحو وأحكامه سوى الاهتداء بها لا الالتزام الحرفي بها، والانطلاق في الاستعمال اللغوي للمفردات أو لأوضاع اللغة التي تتشكل داخل التراكيب، ومن ثم داخل النص، من خلال هذا النظام العام. ولأن المنشئين يختلفون في استخدامهم اللغة؛ فهم يتمايزون أسلوبياً؛ فلكل منشئ خصائص وسمات أسلوبية خاصة به، ولو كان المعنى المعبر عنه واحداً بينهم؛ فعبد القاهر يرى أن" **المعنى الواحد تتعدد صوره وتختلف باختلاف الأسلوب قياساً على اختلاف الصنعة بين خَاتَمٍ وخاتم، ونقش ونقش، وأن المقصود، بالطبع، بالمعنى الذي يقع فيه الاختلاف، أصل المعنى أو الغرض، كما أن المقصود باختلاف الأساليب صفة وخصوصية ما تطرأ على هذا الأصل، فيختلف بها عما كان عليه في حالته الأولى** " (١٤٢).

---

(١٤١)د. عبد السلام المسدي - الأسلوبية والأسلوب - ص ٥٦.

(١٤٢)د. شفيع السيد- الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي - ص ٤٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا كله يتضح جلياً من منهج عبد القاهر الجرجاني في التحليل الأسلوبي معتمداً المقارنة بين تركيب وآخر مفترض، يقوم عبد القاهر نفسه بافتراضه، في ذات المعنى، من خلال ما يتيحه وعيه بالنظام اللغوي للغة العربية أو بين تركيب وآخر عند بعض العرب؛ كما في تفريقه بين المفهوم من قوله تعالى: (**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**)[البقرة/١٧٩] والمفهوم من قول بعض العرب " قتل البعض إحياءٌ للجميع " منطلقاً من استحالة أن يتطابق أسلوبان، ولو كانا في معنى واحد، وإن جاز ذلك التطابق بين نَقْشين أو سِوَارَين أو شِنْفَين، بحيث يأتي كل منهما على صفته، كما هي، لا يغادر منها شيئاً ألبتة. يقول: " وليس يتصور مثل ذلك في الكلام؛ لأنه لا سبيل إلى أن تجيء إلى بيت من الشعر، أو فصل من النثر، فتؤديه بعينه، وعلى خاصيته وصفته بعبارة أخرى، حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك، لا يخالفه في صفته، ولا وجهٍ ولا أمر من الأمور ...

وذلك أن ليس كلامنا فيما يُفْهَمُ من لفظتين مفردتين نحو " قعد " و" جلس " ولكن فيما فُهِم من مجموع كلام ومجموع كلام آخر، نحو أن ننظر في قوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة) [البقرة / ١٧٩] وقول الناس: " قتل البعض إحياءٌ للجميع ". فإنه وإن كان قد جرت عادة الناس بأن يقولوا: " إنهما عبارتان معبر هما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واحد"، فليس هذا القول قولاً يمكن الأخذ بظاهره، أو يقع لعاقل شك أن ليس المفهوم من أحد الكلامين المفهوم من الآخر" (١٤٣).

وإذا كان عبد القاهر قد أكد مبدأ أسلوبياً بأن أي تركيبين أو" كلامين "، ولو كان معناهما واحداً، أو" مُعَبَّرُهما واحداً "، على حد تعبيره، لا يمكن أن تتفق فيهما الخصائص والسمات الأسلوبية؛ إذ لا يمكن أن يكون المفهوم من هذا هو المفهوم من ذاك، فلابد، إذن، من فروق أسلوبية بين تركيب وآخر في نفس المعنى.

إذا كان عبد القاهر قد أكد هذا وسكت عن بيان هذه الفروق الأسلوبية معولاً على فطنة القارئ وحسه النقدي في إدراك هذه الفروق بين الأسلوب القرآني الذي اختاره القرآن الكريم وآثره "ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب " [البقرة / ١٧٩] والأسلوب الذي جاء عليه قول العرب: " قتل البعض إحياءٌ للجميع"، أو قولهم " القتل أوقى للقتل " أو قولهم " القتل أنفى للقتل "، أو قولهم " القتل أكفُّ للقتل " (١٤٤)؛ فإننا يمكننا أن نستظهر هذه الفروق الأسلوبية التي يرتكز معظمها حول

---

(١٤٣)عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز- ص ٢٦١.

(١٤٤)أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف) - البحر المحيط في التفسير - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت - ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السمات الأسلوبية التالية للأسلوب القرآني وهي: **الدقة والوضوح في صياغة الأسلوب، والإقناع والتأثير، وبناء حكم شرعي في إعجاز أسلوبي؛ فمن حيث الدقة والوضوح**، فقد بان من نظم أو أسلوب الآية الكريمة تحديد القتل المراد، باختيار لفظة " القصاص" بأنه القصاص لا غيره؛ لأنه عقوبة على جريمة مماثلة قد اقترفها القاتل.

بهذه الدقة وضح أن نوع القتل هو " القصاص "ووضح أيضاً على من يطبق هذا القتل، فلا يطبق إلا على القاتل نفسه لا غيره. بينما القتل في الأسلوب الذي أورده الجرجاني عن العرب أو الذي ذكرناه عن أبي حيان الأندلسي؛ "أعم من أن يكون عقوبة على جريمة مماثلة، فيكون قصاصاً، أو يكون اعتداء على الآخرين من البداية، فيكون هو الجريمة ذاتها " [١٤٥]. ومن ثم؛ فإن القتل ظلماً وعدواناً أو لأي سبب، " لا يكون نافياً للقتل" [١٤٦]، بل هو مدعاة له حينئذٍ.

وأما الإقناع والتأثير فهما ناتجان عن الدقة والوضوح السابقين، من حيث نصت الآية على أن القتل المراد هو القتل عقوبة على إزهاق نفس أخرى بغير وجه حق، فالعدل يقتضي أن يكون الجزاء من جنس

(١٤٥)د. شفيع السيد- الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي -ص ٥٤.
(١٤٦)أبو حيان الأندلسي-البحر المحيط- جـ ٢ -ص ١٥٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العمل، فيطبق على القاتل لا على أحد من أقاربه أو أهله، وهذا ما يفهم من اختيار كلمة " القصاص" لا " القتل "، بل إن تركيب " قتل البعض " يفتح الباب واسعاً أمام العرف." فبعض " هذه غير محددة نوعاً لا عدداً، قد يكون القاتل نفسه، وقد يكون غيره من أقاربه أو هله أو من ضعفاء قومه، فقد يضحي لأجل شريف أو سيد " ببعض " غيره، وقد يكون البعض نفساً واحدة أو اثنتين أو ثلاثة، سواء أكان اتفاقاً بينهم أم لم يكن، بل إنهم " كانوا يقتلون بالواحد الجماعة، وكم قتل مهلهل بأخيه كليب، حتى كاد يفني بكر بن وائل، وكان يُقْتَلُ بالمقتول غيرُ قاتله؛ فتثور الفتنة، ويقع بينهم التناحر، فلما جاء الإسلام بالقصاص كانت فيه حياة أي حياة، أو نوع من الحياة، وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل [نفسه لا غيره]؛ لأنه إذا هم بالقتل، فعلم أنه يُقْتَصُ منه؛ فارتدع سلم صاحبه من القتل، وسلم هو من القَوَد، فكان القصاص سبب حياة نفسين "[١٤٧].

وتفسير الزمخشري هذا لتأثير النص أو الأسلوب المتضمن هذا الحكم الشرعي، على المخاطبين بهذا "

---

(١٤٧)الزمخشري(أبو القاسم محمود بن عمر)الكاشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل -دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط٢- ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م - المجلد الأول -ص ٢٤٨ / ٢٤٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النص " المعبر عنه بضمير الخطاب للجماعة " لكم "- إنما تناول تأثير النص على من يفكر في القتل، فأما تأثيره على المتلقين عموماً سواء من يفكر في القتل ومن لم يفكر، أومن يقوم بأمانة القضاء أو من يتناول النص بلاغياً أو أسلوبياً ...أي الجماعة المخاطبة بهذا الأسلوب، فإنه لم يتوقف عنده؛ فليست الحياة الحاصلة بسبب القصاص حياة لنفسين فحسب– كما قد رأى الزمخشري، بل هي حيوات كثيرة قد تصل إلى قبيلة أو قبائل أو خلق كثير فتنكير" حياة "، والتنكير يفيد العموم والشمول – يفيد بأن الحياة المرادة إنما هي حياة للجماعة المسلمة كلها المخاطبة بهذا الحكم الشرعي. الحياة بكافة صورها و أشكالها المادية أو المعنوية.

نعم إن كلمة " إحياء " نكرة أيضاً، وهي كذلك تفيد العموم والشمول، لكن فرق بين " حياة " و " إحياء"؛ فإن المعنى " الذي تبثه الكلمة الأولى في سياقها، لا يتأتى مثله للكلمة الثانية، فكلمة " إحياء " في سياقها تقتصر على الحياة بمعناها المادي البيولوجي، على حين ترحب دلالة كلمة " حياة " في الآية لتشمل الحياة بمعناها المادي السابق، وتشمل كذلك الحياة المعنوية، حياة الأمن والدعة والهدوء. ثم إن تقييد كلمة " إحياء " بالجار والمجرور " للجميع " في نظم العبارة مزّق غلالة الإبهام الرقيقة التي يضفيها التنكير على الأسماء، ويجعل النفس تذهب في تفسيره كل مذهب، ولم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يحدث أي نوع من التقييد لكلمة " حياة " في النظم القرآني، فظل لتنكيرها إبهامه ودلالته الغنية"[١٤٨]. مناط الإقناع أن" القصاص " استحقاق على القاتل و حده جَرّاء ما ارتكب من قتل متعمد، وأن في تنفيذه حياة حقيقة لأهل القاتل و المقتول جميعاً، وهذا موطن التأثير في الحياة الحقيقة التي يمنحها المجتمع كله، وليس في النظوم العربية المقارنة ما يفيد هذا الاستحقاق على القاتل نفسه، بل ربما عليه أو على غيره وهذا ما يفقدها تأثيرها.

أما الإعجاز الأسلوبي في بناء الحكم الشرعي فيتمثل، في نظرنا، في سعة الأسلوب؛ ليشمل - إضافة إلى المعاني السابقة الخاصة بتطبيق القصاص في جريمة القتل - القصاص في القتل، والقصاص في غير القتل، وهو ما ليس موجودا نهائياً في دلالة الأساليب العربية السابقة " فالقصاص أعم من القتل، لأن القصاص يكون في نفس، وفي غير نفس، والقتل لا يكون إلا في النفس، فالآية أعم وأنفع في تحصيل الحياة " [١٤٩]. إنها بنت حكماً شرعياً في إعجاز أسلوبي يخص القتل وغير القتل باختيار كلمة واحدة هي " القصاص "، ثم إن فيها إيجازاً لفظياً ومعنوياً، فالمعنوي سبق إيضاحه، واللفظي فيتمثل في خلو هذا الأسلوب القرآني

---

(١٤٨)د. شفيع السيد - الاتجاه الأسلوبي - ص ٥٤.

(١٤٩)أبو حيان الأندلسي-البحر المحيط- ج ٢ -ص ١٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من تكرار لكلمة القتل مرتين، " والبلاغة. هي الإيجاز في موضعه " (١٥٠).

ثم أليس هذا الذي أشار إليه عبد القاهر، بوضوح في تحليلاته الأسلوبية التي قام بها بنفسه أو التي سكت عنها ثقة بقارئه؟ وبَيَّنا نحن بعضا، كما فعلنا قبل – **أليس هذا هو جوهر مقولة هوكيت بأن" أي تعبير في لغة واحدة ينقلان معلومات متمثلة تقريبا ويتميزان في التركيب اللغوي يعدان مختلفين أسلوبياً " ؟** (١٥١) وبالتالي تسوغ مقارنة التعبيرات المتناظرة أسلوبياً.

فإذا افترضنا جدلاً وجود معنى ما، وطلب من أكثر من منشئ أن يعبر عنه فسيأتي تعبير كل منهم مختلفا عن " تعبير " صاحبه، وبالتالي سيحدث نوع من " التغير " للمعنى تبعاً لإدراك كل منهم للفكرة ومدى ممازجتها فكره وقلبه وعاطفته ومشاعره مما سيبدو واضحا في أسلوبه الخاص به المتشكل من اختياراته الخاصة وطريقة نظمه وصوغه هذه الاختيارات؛ مما سيؤدي تلقائياً إلى اختلاف الأساليب بينهم تبعا لاختلاف أشخاصهم. فالأسلوب جزء أصيل من فكرة صاحبه، ومشاعره ، وأحاسيسه، لا يمكن أن يقتطع، أو ينتزع، أو

---

(١٥٠)د.عبد العزيز عتيق - في تاريخ البلاغة العربية-دار النهضة العربية للطباعة و النشر- بيروت- د .ت-ص ٦٥.

(١٥١)برندشبلنر- علم اللغة والدراسات الأدبية - ص ٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يحمل، أو يتحول، أو أن يقلد، أو أن يقتبس، أو أن يتبدل (١٥٢).

ومن ثم، فإن الاختيار النهائي الذي جسد أسلوب كل منهم إنما هو أسلوب يتفرد به، حيث اختار كل منهم من مفردات اللغة أو أوضاعها ووسائلها مفردات خاصة ووسائل خاصة، ولا يتوقع اختيارهم مفردات ووسائلَ واحدة، حتى وإن اختاروا مواد اختيار واحده فلن تتطابق في الترتيب، فلا بد أن يوجد قدر من الاختلاف، وإن قل.

وهذا هو الذي دفع بعض الأسلوبيين، كما أسلفنا، إلى تعريف الأسلوب بأنه " اختيار أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين. ويدل هذا الاختيار أو الانتقاء على إيثار المنشئ وتفضيله هذه السمات على سما ت أخرى بديلة، ومجموعة الاختيارات الخاصة بمنشئ معين هي التي تشكل أسلوبه الذي يمتاز به عن غيره من المنشئين " (١٥٣).

ونرى الانطلاق من هذا المفهوم للأسلوب، بعد أن أوضحنا أن عبد القاهر الجرجاني كان يصدر في

---

(١٥٢)جيرو -الأسلوب و الأسلوبية -ص ٢٣/٢٢ . وانظر: برندشبلنر - علم اللغة والدراسات الأدبية-ص ٢٦.

(١٥٣)د. سعد مصلوح -الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية -ص ٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نظرته للأسلوب أو النظم عن وعي تام بفحواه، وإن يكن مازال في هذا أدنى شك، فلنسمع إلى عبد القاهر وهو يحصر قصد الواصفين " للكلام " بأنه بليغ أو فصيح أو" بارع " في الاختيار من بين البدائل المتاحة ما هو أدق، بل تنصرف خصال " البلاغة " و" "البيان " و " الفصاحة " إلى هذا المعنى فلنستمع: " **ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي إلى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه، وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلاً، ويظهر فيه مَزِيّةً** " (١٥٤)**وهو ما كان يعنيه دائماً بقوله: إن النظم هو " توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم** " (١٥٥).

وأما عن المنهج المقترح، فنرى أن نقتفي أثر عبد القاهر، أيضاً، في منهجه القديم الجديد: القديم بتطبيقه إياه، على نحو ما أسلفنا، الجديد بتنظير علماء الأسلوب والمعروف لديهم بمنهج **استرجاع الإمكانات المتاحة**، كما سماه برند شبلنر، وفحواه أنه يمكن من خلال الانطلاق من الوحدة الغوية التي وقع عليها اختيار المؤلف أو المنشئ في النص – يمكن استرجاع الإمكانات اللغوية الأخرى التي كانت متاحة أمام المنشئ

---

(١٥٤)عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز - ص ٤٣.
(١٥٥)السابق -ص ٣٩٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عند الاختيار مما يسمح به النظام اللغوي، في الوقت الذي أبدع فيه النص.

ويمكننا التماس هذه الإمكانات التي كان يتيحها النظام اللغوي حينئذٍ، ونزعم أنها ماتزال موجودة إلى اليوم، بافتراض هذه الإمكانات التي كان يتيحها النظام اللغوي آنذاك، ثم عقد المقارنة الأسلوبية بين تلك الاختيارات الافتراضية التي لم تستعمل أو استبعدت، وبين تلك الاختيارات المستعملة بالفعل في النص النبوي الشريف، أي نعقد مقارنة بين ما آثره النبي الكريم ﷺ بالاختيار فعبر به، وبين ما آثر تركه واستبعاده من إمكانات اللغة مما سنقوم بافتراضه.

وقد قدم عبد القاهر الجرجاني تطبيقات علمية لهذا المنهج، أشرنا إليها من قبل، يمكننا أن نستضيء بها؛ حيث كان يفترض من النظام اللغوي ما يمكن أن يعد اختيارات مستبعدة، سواء على مستوى الكلمة، أو على مستوى التركيب في المعنى الذي ورد به الاختيار المستبقي أو المستعمل بالفعل، على النحو الذي تناول به قوله: (**يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**) [المنافقون/٤].

وعلى هذا، فنقترح أن تقوم آلية الدراسة أو منهجية الدارسة الأسلوبية لأحاديثه ﷺ على المقارنة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأسلوبية بين الاختيارات المُتَحَقَّقة بالفعل أو المستعملة: أي النص الذي ورد عن رسول الله ﷺبلفظه، وبين الاختيارات المستبعدة المفترضة من جانب الباحث من خلال ما يوفره له النظام اللغوي، على اعتباره المعيار الذي على أساسه تم الاختيار (١٥٦).

على أن ثمة أمراً هاماً تجدر الإشارة إليه، والتنبيه عليه، وذلك أننا، وإن اتبعنا هذا المنهج، فليس معناه أن الرسول الكريم ﷺ كان يفكّر، ثم يختار، أو أنه ينظر في اختياراته، ثم يقوم بتنقيحها على نحو ما يفعل الشعراء والكتاب والمبدعون عموماً.

ذلك من بديهة معروفة من الاصطلاح الذي أطلق على كلام رسول الله ﷺ وهو" الحديث "، فهو **نموذج مقالي حي ينبض بالحركة والحياة يأتي طبعاً**، بكل ما يعنيه هذا المصطلح أي " الطبع "؛ فإن لم يكن كلامه ﷺمن قبيل الوحي، فهو مؤيد بالوحي فلم يكن يراجع كلامه إلا حين يراجعه أمين الوحي جبريل وهو ما يفهم من بعض الأحاديث (١٥٧)، وقد بينا من قبل أن ذلك لم ينزل بمرتبة الحديث عن المستوى الفني الرفيع بل جاء في أعلى مراتب البلاغة بعد القرآن الكريم.

---

(١٥٦)انظر د. جوزيف ميشال شريم - دليل الدراسات الأسلوبية- ص ٣٧.

(١٥٧)انظر: المسند - الحديث رقم (٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولعل ذلك يمَثَّل صعوبة كبيرة أمام الباحث، فإذا كان افتراض الفروض في تناول أعمال الأدباء والشعراء صعباً حيث يندر الحصول على مسودات لأعمالهم، فإن الأمر نراه أصعب. وإذن، فليس أمام الباحث سوى الاجتهاد في افتراض الاختيارات، ثم اختبار هذه الفروض بعقد المقارنة بينها وبين ما تم اختياره بالفعل من جانبه ﷺ.

وثمة ملاحظات منهجية في المعالجة الأسلوبية لأحاديثه ﷺ:

- **أولها: أن الحديث الشريف قد يكون مروياً بمعناه، وليس بأسلوب رسول الله ﷺ. أي ليس بلفظه هو. فهل سيدخل هذا في نطاق البحث الأسلوبي ؟**
- **ثانيها: أنه قد تكون للحديث روايتان أو أكثر، وقد تكون جميعها مروية بلفظه ﷺ.**
- **ثالثها: عن حجم الافتراضات المقترحة.**

ومن حيث التساؤل الأول، فإن الأحاديث التي رويت بمعناها، أو التي رواها الرواة بأسلوبهم -كما في الحديث الشريف-مثلا: " نهى النبي ﷺ عن بيعتين ولبستين ..." [١٥٨] ، لا يجب أن تكون موضع عناية

---

(١٥٨)المسند -ج رقم (٤٦٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباحث من حيث الأسلوب أو التحليل؛ ذلك أن هدف الدراسة هو الكشف عن أهم الخصائص الأسلوبية لأسلوب رسول الله ﷺ، في أحاديثه: أي الأحاديث التي رويت منسوبة بصريح اللفظ على أنها من لفظ رسول الله ﷺ وتعبيره هو جرياً على تقسيم كثير من العلماء الذين قسموا الأحاديث إلى قسمين: قسم اعتنى بلفظه فروى به، وقسم اعتنى بمعناه فحسب فروى بمعناه(١٥٩).

وبدهي أن الرواة في القسم الثاني إنما يعبرون عما فهموه من كلام رسول الله ﷺ بكلامهم هم أو بأسلوبهم هم؛ ففرق بين أن يقول الراوي، مثلاً، قال رسول الله ﷺ:

- " لا تبيعوا بيعتين. "
- أو: " إنني أنهاكم عن بيعتين."
- أو: "حذار من بيعتين."
- أو: " لا ينبغي لأمتي بيعتان."
- أو: " فلتجتنبوا بيعتين. "

وبين أن يقول: " نهى رسول الله ﷺعن بيعتين ... "؛ فنحن لا ندري ما الصيغة التي تحدث بها النبي الكريم

---

(١٥٩)د. رمضان عبد التواب - فصول في فقه العربية -مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض -ط ٢- ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣م - ص ١٠٠ / ١٠١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ﷺ بالضبط. وهنا وإن كانت كل هذه الخيارات الأسلوبية المفترضة تدور وحول دلالة واحدة هي النهي، إلا أن بينها فروقاً أسلوبية. وحين يغيب الاختيار المستبقى من جانبه ﷺ **فلا يمكننا أن نفترض الاختيارين: المستبقى والمستبعد، وإلا صار تحليلنا ضرباً من التخمين والعبث، وقصدنا أن ندرس النص اللغوي الصحيح الذي نطق به على النبيﷺ لا ما فهمه الرواة عنه** (١٦٠).

ولذا، نرى أن يقتصر من يقارب حديث النبي ﷺ على الحديث الذي روي بلفظه ﷺوعبارته هو، وليس الذي هو من رواية الرواة بالمعنى، لأن الحديث المروي بمعناه ألفاظه وعبارته تكون كلها، أو بعضها للرواة وليست لهﷺ.

وإن ورد أكثر من رواية لحديث عنه ﷺ، وكانت جميعها منسوبة صراحة إلى لفظ النبي ﷺ، وكان بينها اختلاف في الصيغ، فإن معنى هذا أن المقارنة حينئذٍ ستكون بين الصيغ المتعددة التي رويت عن النبي ﷺ مستعينين بما يمكن أن يستعان به من مثل أن يكون الحديث المقصود قد تحدث به النبي ﷺ في مناسبتين، إن حدث هذا، مما يمكن أن نهتدي به من سيرته ﷺ أو من تعليقات علماء الحديث. على أنه لا يجب أن نعير هذه

(١٦٠)انظر: أنيس المقدسي -تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي - دار العلم للملايين بيروت- ط٨ -١٩٨٩م -ص ٦٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاختلافات بين الصيغ اهتماما إذا غلب على ظننا أنها من فعل الرواة. إلا إذا أدت إلى اختلاف في الدلالة.

أما عن حجم الاختيارات المفترضة، فمن الواضح أن النظام اللغوي يستطيع أن يمدنا بكثير من الإمكانات والوسائل التي يتيحها أمام المنشئ، **فهل يسهل عقد المقارنة حينئذٍ أي حينما تكون الاختيارات المتاحة المفترضة كثيرة ؟** يجيب أحد رواد الدراسة الأسلوبية بأن " التحليل الأسلوبي لا يمكن تنفيذه عملياً حينما تتوفر في النظام إمكانيات كثيرة " (١٦١)، ومن ثم فيُكتفي ببعض هذه الاختيارات المفترضة لنقارنها في تحليلنا الأسلوبي بالمؤثرات الأسلوبية المختارة بالفعل.

هذا المنهج الذي حددناه ينبغي أن ينضبط بالضوابط التي حددناها من قبل في تعاملنا مع النص النبوي أو النص القرآني؛ على أننا نرى أيضاً أن نعتمد على الإحصاء ما رأينا أن في الاعتماد عليه فائدة للدرس الأسلوبي لأحاديثه ﷺ.

---

(١٦١)برند شبلنر - علم اللغة والدراسات الأدبية- ص ١٤٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مصادر ومراجع الدراسة

-حرف الألف-

١. أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف) - البحر المحيط في التفسير -دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت - ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م .

٢. أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف -إعداد/زغلول-دار الفكر – بيروت- ١٣١٠،١ هـ/١٩٨٩ م . المجلد الثاني .

٣. أحمد حسن الزيات – تاريخ الأدب العربي ، دار الثقافة – بيروت – ط ٢٨ . ١٩٧٨م .

٤. أحمد درويش – الأسلوب والأسلوبية : مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه – مجلة فصول القاهرية – العدد – ١٩٨٤م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥. أحمد الشايب – الأسلوب : دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية–مكتبة النهضة المصرية- ط ٨ – ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .
٦. أنيس المقدسي- تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي- دار العلم للملايين بيروت-ط٨-١٩٨٩ م.

حرف الباء

٧. برند شبلنر – علم اللغة والدراسات الأدبية : دارسة الأسلوب ، البلاغة ، علم اللغة النصي – ترجمة وتعليق / د. محمد جاد الرب – نشرة الدار الفنية للنشر والتوزيع – الرياض – ط١ – ١٩٨٦م .
٨. البدراوي زهران -أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث- دار المعارف -القاهرة -١٩٨٢م .
٩. ابن حجر العسقلاني-فتح الباري بشرح صحيح البخاري- تحقيق:عبد العزيز عبد الله بن باز- وترقيم/محمد فؤاد عبد الباقي- دار الحديث - القاهرة -ط ١ - ١٤١٩ هـ / ١٩٨٨ م .
١٠. ابن عساكر - تهذيب تاريخ دمشق - طبعة بيروت.
١١. ابن منظور -لسان العرب- دار صادر- بيروت ٢٠٠٠م .
١٢. بيير جيرو-الأسلوب والأسلوبية – ترجمة منذر عياشي – مركز الإنماء القومي – بيروت – د. ت .

حرف الجيم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٤. الجاحظ- الحيوان - تحقيق وشرح- عبد السلام هارون - مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة- ط٢ - ١٩٦٥م .
١٣. جمال الدين محمد بن مكرم(ابن منظور الإفريقي)– لسان العرب –دار صادر –بيروت ط ١ – ٢٠٠٠ م .
١٥. جوزيف ميشال شريم – دليل الدراسات الأسلوبية – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت – ط ١ – ١٤٠٤هـ م / ١٩٨٤ م .
١٦. جون كوين-بناء لغة الشعر-ترجمة وتقديم /د أحمد درويش- دار المعارف- القاهرة - ط٣- ١٩٩٣.

حرف الراء

١٧. رامان سلدن– النظرية الأدبية المعاصرة– ترجمة د.جابر عصفور-الهيئة العامة لقصور الثقافة–القاهرة. د. ت.
١٨. رجاء عيد– البحث الأسلوبي : تراث و معاصرة– نشر منشأة المعارف بالإسكندرية–ط ١-١٩٩٣م .
١٩. رمضان عبد التواب-فصول في فقه العربية -مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض- ط ٢ - ١٤٠٤/هـ ١٩٨٣م.

حرف الزاي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٠. الزمخشري(أبو القاسم محمود بن عمر) – أساس البلاغة – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٢١. الزمخشري - الكاشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط٢- ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م .

حرف السين

٢٢. سعد أبو الرضا - في البينة والدلالة : رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية - منشأة المعارف - الإسكندرية- .د.ت

٢٣. سعد الدين التفتازاني (مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني) -شرح السعد المسمى مختصر المعاني في علوم البلاغة – تح/محمد محي الدين عبد الحميد- مكتبة محمد علي صبيح- وأولاده-القاهرة- د.ت.

٢٤. سعد مصلوح - الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية - دار البحوث العلمية – الكويت- ومطبعة حسان بالقاهرة - ط١ - د . ت .

٢٥. سعد مصلوح – في النص الأدبي : دراسة أسلوبية إحصائية – عين للدراسات والبحوث الإنشائية والاجتماعية – القاهرة – ط ١ – ١٤١٤هـ /١٩٩٣م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حرف الشين

٢٦. شكري عياد - مدخل إلى علم الأسلوب - دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض - ط ١ – ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٢٧. شوقي ضيف- البلاغة وتطوير وتاريخ - دار المعارف – القاهرة- ط٨- د.ت .

حرف الصاد

٢٨. صلاح فضل-علم الأسلوب : مبادئه وإجراءاته - الهيئة المصرية العامة للكتاب -ط ٢ - ١٩٩٥ م

العين

٢٩. عبد الحليم محمود – دلائل النبوة ومعجزات الرسول ﷺ -كتاب الشعب – ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م .

٣٠. عبد العزيز حمودة - المرايا المقعرة : نحو نظرية نقدية عربية -سلسلة عالم المعرفة – الكويت – العدد (٢٧٢) – ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٣١. عبد العزيز عتيق - في تاريخ البلاغة العربية- دار النهضة العربية للطباعة و النشر –بيروت- د .ت .

٣٢. عبد القاهر الجرجاني - أسرار البلاغة في علم البيان- تعليق محمد رشيد رضا- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١ - ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م

٣٣. عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز – قرأه و علق عليه /محمود محمد شاكر – طبعة خاصة من مكتبة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخانجي لمكتبة الأسرة ، بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٠ م .

٣٤. عبد الله الغذامى-الخطيئة والتكفير : من البنيوية إلى التشريحية –الهيئة المصرية العامة للكتاب-ط٤-١٩٨٨.

٣٥. العجلوني-كشف الخفاء - طبع مكتبة التراث .

٣٦. عدنان حسين قاسم –الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي – الدار العربية للنشر والتوزيع – القاهرة – ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

٣٧. عدنان بن ذريل-النَصُّ والأسْلوُبيَّة:بين النظرية والتطبيق-من منشورات اتحاد الكتاب العرب-سورية-٢٠٠٠م. والكتاب منشور في موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت www.awu-dam.com

٣٨. علي عبد المعطي محمد- الإبداع وتذوق الفنون الجميلة – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية –١٩٩٥م.

حرف الفاء

٣٩. فتح الله سليمان – الأسلوبية:مدخل نظري ودراسة تطبيقية – الدار الفنية للنشر و التوزيع .

حرف القاف

٤٠. القاضي عياض. الشفا. مكتبة الفارابي .

حرف الميم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤١. محمد زغلول سلام -تاريخ النقد الأدبي والبلاغة - منشأة المعارف بالإسكندرية - ١٩٨٢ م.
٤٢. محمد العبد–اللغة العربية والإبداع الأدبي–دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع–القاهرة–ط١–١٩٨٩.
٤٣. محمد العبد - اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة : بحث في النظرية - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع – القاهرة- ط ١ - ١٩٩٠م .
٤٤. محمد عبد المطلب- جَدَلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم- الشركة المصرية العالمية للنشر و التوزيع - لونجمان - ط١ - ١٩٩٥م .
٤٥. محمد بن علي الشوكاني-الفوائد المجموعة - مكتبة السنة المحمدية .
٤٦. محمد غنيمى هلال – النقد الأدبي الحديث – دار العودة – بيروت – ١٩٨٧م
٤٧. محمد مندور - النقد المنهجي عند العرب - دار النهضة مصر – القاهرة- د. ت.
٤٨. محمود الطحان- تيسير مصطلح الحديث– مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض- ط٩ – ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م
٤٩. محمود فهمي حجازي-في فلسفة اللغة-دار النهضة العربية للطباعة والنشر–بيروت–١٤٠٥ه / ١٩٨٥ م .
٥٠. مصطفى سويف- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة-دار المعارف- القاهرة-ط٢ - ١٩٥٩ م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥١. مـصطفى صـادق الرافعـي - إعجـاز القـرآن والبلاغـة النبوية – مكتبة مصر-د.ت .
٥٢. مصطفى ناصف – نظرية المعنى في النقد العربي – دار الأندلس- د.ت .

حرف الواو

٥٣. والتـر. ج . أونـج - الـشفاهية والكتابيـة- ترجمـة /د . حسن البنا عز الدين - مراجعة /د. محمد عصفور -عالم المعرفة – الكويت - العدد (١٢٨) - ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م

الفهرس

م	الموضوع	رقم الصفحة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١	مفهوم الأسلوب.....	
٢	هل إيجاد تعريف محدد للأسلوب أمر	
٣	صعب؟	
	هل تصلح الأسلوبية منهجا للتطبيق على	
٤	كافة النصوص	
٥	الأدبية؟.....	
٦	اعتراضان على المنهج	
٧	الأسلوبي.....	
	ما يجب علي من يدرس النص الديني	
٨	المقدس.... البدائل	
	المقترحة.....	
٩	الحديث النبوي الشريف إلى أي مستوى	
١٠	أدبي ينتمي ؟	
	الحديث النبوي الشريف إلى أي مستوى	
١١	أدبي ينتمي ؟	
١٢	مصدر قوة الكلمة عنده ﷺ.....	
١٣	أي مفهوم للأسلوب أنسب في مقاربة	
١٤	الحديث النبوي؟؟ وأية منهجية أوفق	
١٥	؟.....	
	أهم ما يتميز به هذا المفهوم	
	للأسلوب.....	
	عبد القاهر والأسلوب.....	
	تطبيق الجرجاني أقوى برهان	
	.....	

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

	المنهج المقترح..... **ملاحظات منهجية في المعالجة الأسلوبية**	